

الدكتور محمد رجب البيومي

حقائق مريرة

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

كنا ونحن تلاميذ في المرحلتين الابتدائية والثانوية نجل الكتب المدرسية ونرى في مؤلفيها امثلة عليا للادب والعلم والفضل ، وكان من اعظم الامنيات لاحدنا اذ ذاك ان يضع في مستقبله كتابا في القــراءة او النصوص او التاريخ كتلك التي يقرأ ، ومما اذكره على بعد العهد اننا اشترينا كتيبا صغيرا يحمل عنوان « نتيجة الاملاء » لمؤلفيه الاستاذين مصطفى عناني وعطية الاشقر ، وهو لا يخرج عن مقررات اولية عن الهمزة متطرفة ومتوسطة وعن الالف اللينة وعلامات الترقيم وما يمت الى رسم الحروف من الاوليات المشتهرة ، وظل الكتاب بأيدينا طيلة العام ، ثم ضاعت نسختي فذهبت لشراء نسخة اخرى بعد ايام فوجدت طبعة جديدة تحمل اسم الاستاذ مصطفى عناني فقط دون صاحبه ، وقد ضم اليها بابا جديدا من ابواب الاملاء ! فدهشت دهشا كبيرا لاغفال الزميل المؤلف ، وزادت دهشتي حين علمت انه انتقل الى رحمة الله ولما كان مدرس الفصل مرجعنا الاول في حل هذا اللغز فقد رفعت اصبعي في ادب لاسأله عن ظهور الطبعة الجديدة باسم واحد لا باسمين اثنين ، فلم اجد لديه اكتراثا بما اعني وقال في استخفاف : هذه مقررات شائعة لا يحتفل بانتمائها لمؤلف ، ولكن اجابة الاستاذ لم تقنعني ! وطال بي العجب .

وحين انتقلت الى معهد الزقازيق الثانوي وجدت كتاب الوسيط مقررا في دروس الادب ، وهو كتاب ذائع الذكر منتشر التداول متعدد الطبعات ، ومؤلفاه هما استاذنا الكبير احمد الاسكندري والاستاذ مصطفى عناني ، وقد انتقل السكندري الى رحمة الله سنة ١٩٣٨ وظهر الوسيط من بعده في طبعة جديدة يضم فصلا جديدا عن الادب الاندلسي ولم يجرؤ الاستاذ مصطفى عناني ان يسقط اسم زميله الكبير كما فعل بعطية الاشقر ، لان الاسكندري علم في جيله ، وتلاميذه الكثيرون متيقظون فكيف اباح مصطفى عناني لنفسه في الاولى ما لم يقدر عليه في الثانية ؟ واين حقوق الكرامة والوفاء .

لم تكن حادثة الاستاذ مصطفى عناني فريدة في بابها ، ولكنها كانت اول ما صادفت ، ولم يطل بها العهد فتنسى ولكن تلتها حادثة مشابهة بعثت دهشتي من جديد ، وانا بعد لا ازال طالبا بالقسم الثانوي بالازهر اذ قرر علينا في الصف الثالث كتاب اوضح المسالك لابن هشام النحوي ، وهو كتاب دقيق مستوعب وذو ايجاز يحتاج الى بسط ففزع المدرسون الى حاشية خالد الازهري المسماة بالتصريح على التوضيح ، وهي دون شك فوق مستوى الطلاب على بعد منالها في المكتبات العامة والخاصة ، فمن لطلاب الصف الثالث اذا غمضت عليهم عبارة التوضيح ؟ لقد كان من التيسير الحميد لامثالهم ان يخرج كتاب منار السالك الى اوضح المسالك مفسرا بعض ما غمض ، ومفصلا بعض ما اجمل فيتلقفه الاف الطلاب في مختلف المعاهد ، ويحمل الدارسون لمؤلفيه الاستاذين عبد العزيز النجار وعبد العزيز حسن ما بذلاه من جهد ، ثم تنفد الطبعة الاولى وبموت الاستاذ عبد العزيز حسن فتظهر الطبعة الثانية وقد كتب على واجهتها « تأليف محمد عبد العزيز النجار المفتش العام للغة العربية بوزارة المعارف » وبعد ذلك فراغ تعقبه هذه الكلمات « اشترك في اصله المرحوم الشيخ عبد العزيز حسن من علماء الازهر » وهو صنيع يبعث على التساؤل ويدفع الى قراءة المقدمة التي تقول بلسان النجار .

« وبعد فقد كنت وضعت منذ عشرين سنة ونيف ـ مع زميلي المرحوم الشيخ عبد العزيز حسن من علماء الازهر الشريف شرحا مختصرا على كتاب اوضح المسالك الى الفية ابن مالك لجمال الدين ابي محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الانصاري المصري المتوفى سنة (٧٦١ هـ ١٣٦٠ م) .

« فصدرنا فيه تجلية الغامض من عباراته وتكميل الناقص من شواهده ، واعراب المغلق منها واجمال معناها وذيلنا كل باب بطائفة من الاسئلة والتمرينات تجمع شتاته وتوضح مغلقه ، وقد نفدت هذه الطبعة منذ سنوات وحالت موانع شتى دون اعادة طبعه ورغب

الي كثيرون من حضرات زملائي واخواني وابنائي طلاب العلم في المعاهد المختلفة ان اعيد طبعه فلم يسعني الا تحقيق رغبتهم والنزول على ارادتهم ، وقد قمت بمراجعة الكتاب وتحريره وترقيمه وتداركت ما ند عن حرصنا في الطبعة الاولى كما أتممت أبيات ألفية ابن مالك التي سايرت الكتاب وهذبت الاسئلة والتمرينات وزدت عليها ما رأيت الحاجة ماسة اليه » .

هذا ما قاله النجار ! وبتتبع كل ما احدث بعد صاحبه نجد ان الكتاب بجزئيه في طبعته الاخيرة لم يزد اكثر من مائة صفحة فصار ثمانمائة واربعين بعد ان كان سبعمائة واربعين في طبعته الاولى ! والزيادات تمرينات مدرسية وتسجيل لابيات الالفية ! ايشفع – ليت شعري – هذا في محاولة انتقاص جهد كبير لصديق راحل وفقيد صامت ! لو ان الاستاذ النجار اقتصر على ذلك لرحمناه بعض الشيء فقد أشار الى مجهود صاحبه بسطر او اثنين وهو ما لم يفعله صاحب نتيجة الاملاء ! ولكن الاستاذ النجار المفتش العام للغة العربية والتربية الدينية بوزارة المعارف اراد ان يمحو اسم صاحبه محوا ، فطبع الكتاب مرة ثالثة تحت عنوان « منار السالك الى اوضح المسالك » معلنا في واجهته انه من تأليفه وحده ومتخلصا من عبارة « اشترك في أصله فلان» وهكذا خيل اليه أنه تخلص من مزاحم كريه واذن فقد ذهب جهد عبد العزيز حسن ادراج الرياح ، وكان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس .

والمؤسف حقا ان عبد العزيز حسن رحمه الله قد كان نهبا لكل محتال ، فقد حقق شرح نهج البلاغة للامام محمد عبده فقدم الاصل مشكولا والشرح محققا ثم ذهب الى رضوان الله لتتوالى الطبعات غير مشيرة الى فضله وقد اعتمدت عليه كل الاعتماد فماذا عسى ان يقول لسارقيه اذا جمعهم موقف الحساب ، ومنهم الصديق والتلميذ .

نترك كتاب المنار الى عبث آخر فان الرواية لم تتم فصولا ، ولن تتم الا بعد ان تحيا الضمائر وتعلو النفوس! ضمائر المؤلفين من العلماء ونفوس المربين من الفضلاء .

فقد تقدمت بنا الدراسة من المرحلة الثانوية الى كلية اللغة العربية ، ووجدنا مؤلفات المغفور له الاستاذ محمود مصطفى تملأ عقول قارئيها ادبا وعلما وذوقا ، وقد انتقل الى رحمة الله قبل ان نتمتع بدرسه ، ولكن زملاءه من اساتذة الكلية قد اسهبوا في الثناء عليه وتوجيه الانظار الى مؤلفاته النافعة ومنها تاريخ الادب العربي في ثلاثة اجزاء كبار ، وتحقيق كتابي هبة الايام والمجازات النبوية ، وكتابه الرائع « اعجام الاعلام » هذا غير تحقيقاته النقدية في أمهات المجلات ومقالاته الصحفية في انهار الجرائد وكتابه الموفق عن العروض ! وغير ما نتعرض له الآن من اشتراكه في ترجمة كتاب « يوميات فيلسوف قانع » للكاتب الفرنسي « أميل سوفيستر » مع زميله الاستاذ اسعد عبد الملك المفتش العام بوزارة المعارف ، وقد ظهر هذا الكتاب في حلة قشيبة ولغة سامية يعرفها قراء الاستاذ محمود مصطفى ! فحظيت الطبعة العربية الاولى بسرعة الانتشار ووجدت من التأييد والقبول ما كان موضع الغبطة لدى صاحبيها الفاضلين ! ثم انتقل الاستاذ محمود مصطفى الى رحمة الله سنة ١٩٤٢ لتظهر الطبعة الثانية مجردة من اسمه ومفردة الى الاستاذ اسعد عبد الملك وحده . فاذا رجعت الى مقدمة هذه الطبعة وجدت صاحبها يقول :

« نشرت يوميات فيلسوف قانع منذ عشرين سنة ونيف ، وقد كنت عربته بمعاونة المرحوم الاستاذ محمود محمد مصطفى وخطر لي ان اعيد طبعه ، ولكني عند مراجعته وجدت أسلوبه غريبا شبيها بأسلوب الجاحظ وابن المقفع كما قال المقتطف في تقريظه حين ظهوره ، ولكن اللغة تطورت ، من أجل هذا عمدت الى تنقيح الكتاب في هذه الطبعة الثانية، فهذبت اسلوبه (أي والله! هذب اسلوب الجاحظ وابن المقفع) وبدلت من كلماته الغريبة المهجورة كلمات سهلة مألوفة ، وقصارى القول انني حاولت اخراجه في لغة قريبة من اللغة التي نكتبها اليوم وكان زميلي المرحوم الاستاذ محمود محمد مصطفى قد نزل عن حق المساهمة في التعريب بعقد مؤرخ في ٥ – ٩ – ١٩٢٧ على ان هذا لا يمنع التنويه بفضله رحمة الله عليه ورضوانه » .

فماذا يقول القارىء في هذا الكلام الذي يتضارب ويتناقض الى درك لا يليق ، ان ابلغ رد عليه هو ما ذكره صديقي الكاتب المبين الاستاذ محمد فهمي عبد اللطيف بالعدد ٧٣٣ من مجلة الرسالة حيث قال بعد عرض هذه الوصمة النكراء :

« ان تغيير الاسلوب جناية على الاستاذ محمود مصطفى لانه مسخ لجهده ، وجناية على الكتاب لانه حط من قيمته ، وقد قابلت بين الطبعتين فلم أر هذا التغيير الا في كلمات وتعبيرات كان الاستاذ محمود مصطفى رحمه الله يشرح معناها فحسبها صاحبنا لا تلائم العصر ، اما مسألة العقد فقد حدثني الاستاذ محمود مصطفى رحمه الله أنه لما فرغ من الكتاب اتفق مع زميله ان يتقاضى منه قدرا من المال ، وينزل له عن الحق المادي فيه ليتولى هو تصريفه وجمع نقوده لانه لا يصبر على المساومات المادية ، وقد كان هذا شأنه في جميع ما الف من الكتب ، وهب ان الاستاذ مصطفى تنازل عن حقه فهل يكفي هذا العقد لنقل هذه الملكية ، وهل يصح لدور النشر التي تشتري حق تأليف الكتب من المؤلفين ان ترفع اسماءهم وتدعي انها من تأليفها وعبقرية اموالها ! » .

ويلي ! ايجوز ان استرسل في هذه السقطات المتشابهة ! انني سأشير الى رابعة تقربنها قربا واضحا

من وحي الارض

معولي

اهـــواه رغـم جفائـه اهـــواه — فاحفظه لـي باللـه يـا اللـه
لـم أدر أي الطيبين احب لـي — مـرآه عنـد الفجر ام ريـاه
اغدو عليـه بمعولي فيلين لي — قندولـه وتـرن لـي حصبـاه
لله مــا اشهى انحنائي فوقـه — كلـي عيـون نهمـة وشفـاه
يا معولي المحبوب يـا رمز الوفا — أوليتني مـا لـم ولـن انساه
ادنيت منـه فمي وزدت تمتعي — ببهيج رؤيتـه وطيب شـذاه
وفتحتلي في صدره الجرح الذي — تسري الى جسدي الضعيف دماه
فاعـدت أمـات البـذور اجنـة — فيـه تـردد همسهـا • امـاه
صلي لنعطي جدنا القروي مـا — يكفيـه مونـة صيفـه وشتـاه
يـا مـن يفاخرني بحسن بـلاده — هـذا ثـرى وطني فكيف سماه
لو لم تكن امي هناك ... مقيمة — لحلفت انـي لا احـب سـواه

البربارة ـ لبنان — الشاعر القروي

وان لم تكن من بابها ! وسأشير اليها مستفهما لا ناقدا ، فان صاحبها الشاعر النابغة والكاتب اللامـع الاستاذ عبد الرحمن صدقي ذو مكانة رفيعة في نفسي ، ومـا قرأت له غير الرائع البارع نثرا وشعرا ، تأليفا وترجمة! وأنا اعده مع الكاتب الكبير الاستاذ عـلى ادهـم خلفين تاليين للمازني والعقاد ، ولكـن سؤالا يتردد في خاطـري ويتطلب اجابته ، اذ قرأت له مقالا جيـدا يحتل اربعـة عشر عمودا من مجلة المجلة الصادرة بتاريخ ابريل سنـة ١٩٦٠ تحت عنوان « الفنان الديني فوق المآذن والمقارىء ووسط الموالد » فتذكرت اني قرأت هذا المقال باستثناء الصفحة الاولى منه بمجلـة الصباح المصريـة الصادرة بتاريخ ١٧ ــ ١٢ ــ ١٩٤٤ م مـا بـين صفحة ١٢ ، ١٦ معزوا الى الاستاذ الدكتور محمد صلاح الدين بك وكيل وزارة الخارجية اذ ذاك وقد مهدت له مجلة الصباح بمـا يأتي :

« كانت اذاعة صاحب السعادة الدكتور محمـد صلاح الدين بك وكيل وزارة الخارجية ورئيس لجنـة التمثيل والسينما والمسرح حادث الاسبوع الذي يستحق لا الذكر ولا التنويه فقط بل الاشادة والتمجيد والاكبار ، لان كبيرا من كبار رجال الدولة يحيي جهـود مقـرىء ومنشد (هو الشيخ علي محمود) يجدد بدء نهضة فنية جديدة في مصر والشرق العربي لان الفن ذاته قد اعتـز وازدهر بهذا التمجيد الكريم ، ولما كان الدكتور محمد صلاح الدين بك اول من كرم الفن رغم مشاغله الجمة في منصبه الخطير فقد استحق اسمه التسجيل في كتـاب الفن الذهبي وفي تاريخ مصر الاجتماعي ونحن ننشر فيما يلي اذاعة سعادته للحقيقة والتاريخ » .

والدكتور محمد صلاح الدين سياسي بارع ومفكر من الطراز الاول دون نـزاع ، وخاصة الناس يعلمـون ثقافته الرفيعة وجهاده الوطني ومواهبه العالية ولـن يعز عليه ان يأتي بمقال في تاريخ فـن او حياة فنان ، ولكن اعماله الكثيرة ــ فيما اظن ــ قـد اضطرته الـى الاستعانة بالاستاذ عبد الرحمن صدقي في تدبيج كلمة تذاع في موسم خاص على ان يلقيها رئيس لجنة التمثيل والمسرح والسينما » وقد اذيعت الكلمة ونشرت معـزوة الى الدكتور صلاح الدين ، ثم توارى الرجل الكبير عـن المسرح السياسي مضطرا ولم يعد ذا نفوذ سياسي يذيع حديثه في الناس أفيجوز للاستاذ عبـد الرحمن صدقي حينئذ ان ينشر باسمه حديثـا نشر لسواه وتناقلـه الرواة ؟ هذا ما أحاول الاهتداء الى تبريره فلا أستطيع .

هذه طرائف لاذعة مما اعلم ، وقد يتنفس القلم بأخوات لها بعد حين .

الرياض ــ كلية اللغة العربية — محمد رجب البيومي



عبد الرحمن شلش

احمد شوقي

بقلم عبد الرحمن شلش

* * *

تحية وفاء

امير القوافي قد أتيت مبايعا   وهذي وفود الشرق قد بايعت معي

هكذا قال الشاعر حافظ ابراهيم في قصيدته التي بايع فيها صنوه الشاعر احمد شوقي ـ على امارة الشعر ، وقد القيت قصيدته عام ١٩٢٧ في احتفال كبير اقيم بدار الاوبرا لتكريم احمد شوقي ، ودعي اليه اعلام الادب والفكر في وطننا العربي الكبير .

ومنذ ذلك الحين ، اصبح احمد شوقي اميرا للشعراء بعد ان سلم له الانداد بهذا ، وفي مقدمة هؤلاء حافظ ابراهيم الذي كان يعد من اكبر منافسيه .

حقا ، لقد كان شوقي شاعرا قديرا ، ورائدا من من اعظم رواد التجديد في المدرسة الكلاسيكية ، كما كان الرائد الاول للمسرحية الشعرية .

واحمد شوقي هو امير الشعراء لانه كان ـ بحق ـ اميرا للشعراء في جيله وعصره . وبالتالي ، فان مبايعته بامارة الشعر كانت عن استحقاق وجدارة ، وبذلك انعقدت له زعامة دولة الشعر العربي في العصر الحديث .

وفي ذكرى مولده ورحيله التي تمر في هذا الشهر (اكتوبر) نقدم هذه الدراسة السريعة تحية وفاء وتكريم لذكراه الخالدة .

وسنقتصر دراستنا على تناول بعض الجوانب في حياته وشعره ، لاننا نجد انفسنا امام شخصية ثرية المواهب ، متعددة الجوانب مما يجعل الالمام بكل جوانب شخصيته في مثل تلك الدراسة السريعة امرا صعبا .

مولده ونشأته

ولد بحي الحنفي بالقاهرة في ١٦ اكتوبر عام ١٨٧٠ (وقيل عام ١٨٦٨ والارجح انه ولد بعد هذا بعامين كما يستدل على ذلك من واقع وثيقة رسمية هي شهادة الليسانس التي نالها في الحقوق من فرنسا) .

ونشأ منذ نعومة اظفاره في بيئة ارستقراطية ، فبعد ولادته اخذته جدته لامه لتكفله ، وكانت هذه الجدة منعمة موسرة ، فهي واحدة من معتوقات الخديوي ، وكانت تحنو عليه . وكان ابوه « علي شوقي » غنيا هو الآخر ، اذ ورث عن ابيه مالا كثيرا ، ولكنه لم يلبث ان بدد هذا المال الكثير في سكرة الشباب ، ثم عاش بقية عمره بعمله غير نادم ولا محروم كما يحدثنا عن ذلك في مقدمة الشوقيات ، وللاسف الشديد ان هذه المقدمة التي كتبها شوقي ثم رفعها من جميع الطبعات الحديثة للديوان ، واستبدلت بمقدمة اخرى كتبها الدكتور محمد حسين هيكل ، ورفع المقدمة فيه جناية كبيرة على تراث شاعرنا ، ذلك لانه كان جديرا ان تظل بالديوان ، لا سيما وانها بقلم صاحبه ، فضلا عن انها تلقي الضوء على بعض جوانب حياته وشعره . وعاش شاعرنا سنوات طفولته وصباه وشبابه الباكر في نعيم القصر ، فنشأ بعيدا عن جماهير الشعب ، فلم يحس بآلامها وآمالها .

مراحل تعليمه

وتلقى تعليمه بمكتب الشيخ صالح ، ثم انتقل الى المبتديان ، فالتجهيزية ، وكان متفوقا في دراسته ، فرأى والده ان يدرس القوانين والشرائع ، فأدخله مدرسة الحقوق ، ودرس بها لمدة سنتين ، وقضى مثلهما في قسم الترجمة الذي انشىء بهذه المدرسة لتخريج المترجمين .

ثم سافر في بعثة الى فرنسا لمواصلة واستكمال دراسة الحقوق ، فدخل كلية الحقوق في جامعة مونبلييه وهناك اتيحت له فرصة تذوق مواطن الجمال في الآداب الاوروبية عامة ، وفي الادب الفرنسي بصفة خاصة ، فقد قرا اعمال : فيكتور هوجو ولامارتين والفريد دي موسيه، وكان مغرما بقصصهم وشعرهم ، وزار باريس وانجلترا والجزائر ، والتقى بالامير شكيب ارسلان ، وجمعت بينهما صداقة قوية ، واشار عليه ارسلان ان يسمي ديوانه باسم « الشوقيات » ففعل هذا ، اذ جعل تلك التسمية عنوانا لديوانه :

صحبت شكيبا برهة لم يفز بها   سواي على ان الصحاب كثير
حرصت عليها آنة ثم آنة   كما ضن بالماس الكريم خبير

فلما تساقينا الوفاء وتم لي وداد على كل الوداد امير

واذا كان شاعرنا قد بدأ يقرض الشعر وهو في الرابعة عشرة من عمره ، فانه كان متأثرا ببلاغة الاقدمين من امثال : البهاء زهير والمتنبي وابي تمام ، كما انه تأثر بعد ذلك ببلاغة الاوروبيين واتجاهاتهم اثناء دراسته في فرنسا ، ولكن تأثره ببلاغتهم كان اقل عن تأثره ببلاغة العرب وتراثهم الخالد ، عصرا بعد عصر .

والواقع ، انه استفاد استفادة كبيرة من خلال قراءاته في الادب العربي والادب الفرنسي والادب التركي، وكان المامه بالتاريخ القديم والحديث الماما كبيرا ، مما جعله يكتسب ثقافة واسعة بدت في شعره ، وعلى الاخص في الشعر الذي كتبه في العشرينات وما قبلها بقليل اثناء وجوده في منفاه .

الوطنية في شعره

وعندما عاد شاعرنا من بعثته الى ارض الوطن راح يمتدح ولاة مصر ، حتى سمي شاعر الامير . ولكنه في نفس الوقت راح يكتب الشعر الوطني ، فتغنى بالحرية وبالوطنية ، ورفع صوته عاليا ينادي بحق وطنه في الحرية وتقرير المصير .

وفي ذلك يقول احمد زكي عبد الحليم في كتابه : « احمد شوقي شاعر الوطنية » : « اصبح المجال في ذلك الحين واسعا امام شوقي ، فاستطاع ان يكتب عن الحرية والوطنية ، وان ينادي بالسيادة والاستقلال نداء طائر كان محبوسا في قفص من حديد ، فاستطاع ان يفلت من هذا القفص ، فاذا به يجد نفسه في حجرة محكمة الاغلاق ، فهو يشعر انه قد ذاق نصف الحرية ، فهامت روحه شوقا الى الحرية بأكملها .. حرية الحياة والراي والوطن » .

ان روح الوطنية تفيض بها نفس شوقي منذ زمن بعيد ، قبل ان يسافر الى منفاه حيث يقول البعض ان المنفى هو نقطة تحول في شعر شوقي ، فهو يهاجم رياض باشا الذي كان يتملق اللورد كرومر ـ المعتمد البريطاني.

يقول شوقي مخاطبا رياض :

جنيت على قلوب الجمع باسا كانك بينهم داعي الحمام

اراعك مقتل من مصر باق فقمت تزيد سهما في السهام

وهل تركت لك السبعون عقلا لعرفان الحلال من الحرام

واخذت شاعرنا موجة من الحماس والوطنية ، فراح يتحدث عن مصر وهو يتغنى بحبها قائلا :

احبك مصر من اعماق قلبي وحبك في صميم القلب نام

سيجمعني بك التاريخ يوما اذا ظهر الكرام على اللئام

لاجلك رحت بالدنيا شقيا أصد الوجه والدنيا امامي

وانظر جنة جمعت ذئابا فيصرفني الاباء عن الزحام

ولم يكف عن التغني بحب الوطن والمناداة بحريته واستقلاله بالرغم من كل الظروف التي كانت تمر بها البلاد وقتئذ ، وعلى رأس هذه الظروف وجود المستعمر البريطاني من جهة ، وسيطرة القصر وفساده من جهة اخرى .

في المنفى

وعندما سقط الخديوي عباس حلمي الثاني مخلوعا من مصر ، لم يترك الانجليز شاعرنا وشأنه ، وانما عزموا على نفيه ، فخيروه البلد التي يحب ان يذهب اليها ، فارتاح الى ان يذهب الى اسبانيا .. اندلس العرب حيث غنى ابن زيدون روائعه .

وامضى في منفاه سنوات امتدت من ١٩١٥ حتى ١٩٢٠ وكان قلبه ينبض شوقا وحنينا الى ارض وطنه :

ارض الابوة والميلاد ، طيبها مر الصبا من ذيول من تصابينا

كانت محجلة ، فيها مواقفنا غرا مسلسلة المجرى قوافينا

وحين رجع من منفاه الى ارض الوطن ، صاح يخاطبه :

ويا وطني لقيتك بعد ياس كاني قد لقيت بك الشبابا

ولو اني دعيت لكنت ديني عليه اقابل الحتم المجابا

وهو هنا يشبه عودته الى ارض الوطن بعودة الشباب بعد المشيب ، وقد كان هذا التشبيه جميلا من شاعرنا العائد الى مصر الغالية بعد سنوات مريرة في المنفى . ويودع أرض الاندلس بقوله :

وداعا ارض اندلس وهذا ثنائي ان رضيت به ثوابا

وما اثنيت الا بعد علم وكم من جاهل اثنى فعابا

ويعبر عن أسفه لعدم اشتراكه في ثورة ١٩١٩ التي تفجرت اثناء وجوده في المنفى ، فيقول :

لولا عوادي النفي او عقباته والنفي حال من العذاب جهنم

لجمعت الوان الحوادث صورة مثلت فيها صورة المستسلم

وحكيت فيها للنيل كاظم غيظه وحكيته متغيظا لم يكظم

ولم يترك شاعرنا اية مناسبة وطنية الا وراح ينظم فيها شعره ، فهو يشارك شعب سوريا الكفاح والنضال، ويحمل على الفرنسيين حملة لا قبل لهم بها ، ويواسي مصاب دمشق :

سلام من صبا « بردى » ارق ودمع لا يكفكف يا دمشق

ويقول :

دم الثوار تعرفه فرنسا وتعلم انه نور وحق

جرى في ارضها ، فيه حياة كمنهل السماء وفيه رزق

ويخلد ذكرى الزعيم الليبي عمر المختار ويحيي كفاح شعب ليبيا قائلا :

ركزوا رفاتك في الرمال لواء يستنهض الوادي صباح مساء

يا ويحهم نصبوا منارا من دم يوحي الى جيل الغد البغضاء

وهكذا ظل شوقي يتغنى بالحرية والوطنية وينادي بالسيادة والاستقلال لوطنه الصغير والكبير .

مسرحياته

ولاحمد شوقي سبع مسرحيات شعرية هي : علي بك الكبير التي كتبها عام ١٨٩٣ ثم عدلها ونشرت عام ١٩٣٢ ومصرع كليوباترا (١٩٢٧) ومجنون ليلى (١٩٣١)

وقمبيز (١٩٣١) وعنترة (١٩٣٢) واميرة الاندلس (١٩٣٢) والست هدى وقد توفى قبل ان ينشرها . كما كتب مسرحية شعرية اخرى هي « البخيلة » ولكنه لم يتمها . وله الى جانب هذا « رواية فاشودة » وهي ارجوزة شعرية كتبها سنة ١٨٩٨ ، واخرى تناول فيها تاريخ الاسلام ورجاله حتى نهاية العصر الفاطمي وعنوانها : « دول العرب وعظماء الاسلام » ، ونشرت بعد وفاته . عدا بعض الروايات النثرية التي لم تطبع حتى الآن .

وهكذا نجد ان شاعرنا قد اعطى ادبنا العربي سبع مسرحيات شعرية وضع بها الاساس الذي قامت عليه المسرحية الشعرية التي كان هو رائدها الاول .

ولقد اخذ موضوعات بعض مسرحياته هذه من التاريخ العربي القديم كمسرحية مجنون ليلى التي استمد حوادثها من زمن بني امية . واستمد من تاريخنا المصري العريق موضوعات لمسرحية مصرع كليوباترا ومسرحية قمبيز .

وكانت شخوص مسرحياته ملأى بالحياة والعواطف الانسانية ، وبرزت فيها مواقف رائعة للبطولة ، كما ظهرت فيها المراة ذات سلطان .

والواقع ان شاعرنا كان متأثرا في مسرحياته هذه بآثار رواد الادب الانجليزي والفرنسي مثل شكسبير وفيكتور هوجو ، ذلك لانه اثناء دراسته في فرنسا وزيارته لانجلترا قد اطلع على الحياة المسرحية هناك ، وقد افاده هذا عندما كتب مسرحياته الشعرية التي اتى فيها بالجديد .

وليس من المصادفة ان يستمد موضوعات مسرحياته من التاريخ ، لانه كان يرى التاريخ بذكرياته ، كعنصر هام من عناصر تجربة الشعر ، فهو يؤكد هذا بقوله :

والشعر ما لم يكن ذكرى وعاطفة   او حكمة فهو تقطيع واوزان

في نظر نقاده

وكان شعر احمد شوقي موضع نقد كتاب ونقاد عصره ، وقد دارت معارك ادبية كثيرة حول شعره ، فهاجمه معظم كتاب ونقاد عصره وعلى رأسهم : الدكتور طه حسين والمازني والعقاد ، ومع هذا لم يرد شاعرنا عليهم ، وبعد وفاته ، لم يلبث الجميع ان غيروا رأيهم في شعره ، ونعرض هنا بعض آراء الكتاب والنقاد الثلاثة في شوقي .

يقول المازني عن شوقي : « كان من انضج شعراء طبقته وكان ادقهم تعبيرا وابلغهم . ومازال رأيي في شعره كما كان ، وهو انه كان في صدر حياته أشعر منه في اخرياتها ، ولكنه في العهد الاخير كان ابلغ عبارة واغلى بيانا وانه كان ذا حيوية عجيبة . ومن ذلك انه اقتنع في شيخوخته بأن نظم القصائد على الطريقة القديمة التقليدية عبث وباطل فتحول الى وضع الروايات الشعرية التمثيلية وطمع في ان يكون في الادب العربي كشكسبير في الادب الانجليزي .. رحم الله شوقي فقد كان عنوانا بارزا لمصر في الشرق العربي كله واكبر ظني ان اسمه سيظل مذكورا في تاريخ عصره مهما بلغ اختلاف الناس في امره » .

اما الدكتور طه حسين ، فقد انصف شوقي بقوله عنه : « انه - اي شوقي - بعد ان عاد الى مصر من المنفى تحول تحولا خطيرا حقا ، لا نكاد نعرف له نظيرا عند غيره من الشعراء الذين سبقوه الى ادبنا العربي وتحول من ناحيتين خطيرتين : فاما احداهما فهي ان شعره التقليدي تحرر من التقليد بظروف السياسة فانطلق ، كان شعره يصبح صورة لاهواء الشعب من حوله ولميوله ، هذا الشعب بكل قوة وبكل حرية كأن الشعب انما كان ينطلق بلسانه . والناحية الثانية هي انه فجأة استكشف نفسه ، واذا هو شاعر قد خلق ليكون مجددا ، فاقبل على التجديد في السنين الاخيرة من حياته ، فأدخل في اللغة العربية وفي الشعر العربي خاصة فنا جديدا لم يسبقه احد اليه ، وهو فن التمثيل الشعري .. ومهما يكن من شيء فحسب شوقي انه رد الى الشعر العربي قوته ورصانته ومتانته » .

وانصف العقاد شاعرنا بقوله : « هو امام مدرسة يستطيع ان يسميها بمدرسة التقليد المبتكر او التقليد المستقل ، لم يكن شوقي من المقلدين الآليين الذين يلتزمون حدود المحاكاة الشكلية ولا يزيدون ، ولم يكن من المجددين الذين يعطون من عندهم كل ما اعطوه من معنى وتعبير ، ولكنه كان يقلد ويتصرف ، وكان تصرفه يخرجه من زمرة الناقلين الناسخين ، ولكنه لا يسلكه في عداد المبدعين الخالقين الذين تنطبع لهم « ملامح نفس مميزة » على كل ما صاغوه من منظوم او منثور ، فهو قد نشط بالشعر من جمود الصيغ المطروقة والمعاني المكررة ولكنه لم يستطع ان ينتقل به من شعر القوالب العامة الى الشخصية الخاصة التي لا تخفى معالمها ولا تلبس بغيرها ، وخلاصة القول فيه انه مقلد مبتكر ، أو انه مبتكر مقلد ، فلا هو يقتفي آثار الاقدمين ، ولا هو ينفرد بملامحه الشخصية في التعبير عن نفسه او التعبير عن سواه » .

تخليد ذكراه

وفي ١٤ اكتوبر ١٩٣٢ - انتهت حياة شاعرنا عن اثنين وستين عاما . وترك خلفه تراثا ادبيا ضخما يتمثل في ديوانه الكبير وفي مسرحياته الشعرية ورواياته النثرية التي لم تطبع .

ولعلنا نخلد ذكرى امير الشعراء باعادة نشر تراثه وتحقيقه ، وقيام دراسات جديدة تتناول سمات وخصائص هذا التراث .

رحم الله احمد شوقي رحمة واسعة ، وطيب ثراه ، وخلد ذكراه .

مصر الجديدة   **عبد الرحمن شلش**

الحركة الادبية في المملكة السعودية

اطروحة الدكتور بكري شيخ امين

بقلم خليل الهنداوي

* * *

هو واحد من الذين درسوا على يدي الادب في فصول مدرسية ليلية ، وقد توسمت فيه ان يكون وجها ناصعا ، فكان . ولا ادري : أكنت جانيا عليه ، أم محسنا اليه ؟

وتكر الايام وهو يثابر على كلية الآداب بدمشق ، حتى تخرج منها ، ثم تقذف به الاسفار من المشرق الى المغرب حتى يستقر في المملكة السعودية ، ليقوم بتدريس الادب في كليتي اللغة العربية والشريعة بالرياض . ولكنه ـ والطموح ملء اهابه ـ أحب أن يكمل طموحه ، فاعد نفسه لتحضير رسالة تنيله شهادة « الدكتوراه » .

راح يفكر في موضوع من الموضوعات التي لم يكدر مواردها الصافية وارد ، ولم يقع عليها قاصد . وفجاة ، وقع على موضوع بكر ، حديث ، لا يزال مكانه ناقصا في الخزانة العربية ... وهل أجد عنده من ان يكتب ـ وهو في المملكة السعودية ـ عن الادب السعودي ، وتطوره ، ومراحله ؟

حتى اذا ارتاحت نفسه الى الموضوع ، شمر عن ساعد الجد : واقدم على جمع المصادر ، سواء منها ما كان منشورا في بطون الكتب، وما كان منها لا يزال في خبايا الصدور ، فتنقل مسافرا من قطر الى قطر ، ليجتمع الى الادباء الاحياء ، ويتصل بهم ، ويستمع اليهم . وجدير بمثل هذا العمل ان يكلفه الجهد الكثير ، والعناء الكبير ، والسهر الطويل .

« اما الصعوبات التي واجهتها فتتمثل اولا في المصادر ، ويعلم الله ان الوصول احيانا الى بيت واحد من الشعر ، او الى فكرة جد صغيرة ، كان يكلفني التنقل عبر الجزيرة آلاف الكيلو مترات والعشرات من الايام ، والنفقات الكبيرة ، وفي سبيل جمع معلومات هذه الرسالة كنت كالحافي في أرض الشوك » .

وما زال حتى استكمل مصادره ، وباشر بتصنيف الرسالة وانهاها ، وتقدم من اللجنة الفاحصة في معهد الآداب الشرقية ببيروت في ١٨ نيسان ١٩٧٠ ، وجادت عليه بالدكتوراه بمرتبة الشرف الاول مع تهنئة اللجنة .

والرسالة ضخمة تقع في (٥٤٢) صفحة كبيرة ، هي الآن في طريقها الى الطبع ، وعنوانها « الحركة الادبية في المملكة العربية السعودية » . وابوابها متعددة ، تجمع بين القديم والجديد ، والاغراض السابقة ، والاغراض المعاصرة . ولقد سبق بعض من كتب في التيارات الادبية ، في الجزيرة العربية ، لكنها لم تكن الا دراسات بعيدة عن ان تتسم بالدراسة الجديدة الموضوعية الشاملة ، التي تعتمد على الاصول الدراسية الحديثة . وفي ذلك يقول :

« نعم ، ان كتبا كثيرة الفت في تاريخ هذه البلاد وعقيدتها ، ولكنها مقسمة الى فريقين : فريق متعصب لها كل التعصب ، فلا يرى الا محاسنها ، وفريق آخر ينظر اليها بعين الكره ، فهو لا يجد الا سوءا ، ولا يرى الا قبيحا . وكلا الفريقين جائر ، يخفي الحقيقة ، ويركب مركب الهوى » .

وجل ما يريده من هذه الدراسة ان يجهر بالحقيقة سافرة ، فان أخطأ هذه الحقيقة حينا ، او نأى عنه الصواب ، فما هو الا مجتهد يصيب او يخطيء . اما هذه الرسالة فقد جاءت جامعة ، محيطة بكل شيء : فيها من العلم كثير ، وفيها من التحقيق كثير ، ولكن فيها من الذوق الادبي الاصيل الكثير أيضا .

قرأت هذه الرسالة بشغف ، شغف من حملته الى أرض جديدة، وسماء جديدة ، وعرفته بعقول وارواح ، بيننا وبينها صلة أواصر الادب المشترك ، وان كانت عنا بعيدة . نحن اليها بتكويننا العقلي والروحي ، لغة وادبا ، لانها ذلك الحضن الاول الذي نشأت فيه هذه اللغة المزيزة لغة القرآن ، ونهض فيها ذلك الادب والشعر اللذان لا يزالان محجة كل اديب عربي ، في أي زمان ومكان . ولكن الظروف القاسية شاءت لها او لنا ، ان ننقطع عنها زمنا مديدا ، انقطاعا مرعبا ، لا نستطيع ان نعين أسبابه . قد يعلل المؤرخون هذا الانقطاع بان العقل العربي في الجزيرة ، قد نضب وتوقف عن العطاء . ولكن لماذا نضب هذا العقل وتوقف ؟

والصحراء هي الصحراء ، والعطاء هو العطاء ، ومن ذا ينسى ما تفجرت به الجزيرة من شعر في مكة ، والمدينة ، واطراف الحجاز ، وبلاد نجد ؟ وفي تلك الاطراف كانت مناقير الشعر ترسل الالحان العذبة ، الندية الوجدانية ، التي لا تزال غرة الشعر الوجداني ، في جبين الشعر العربي ... قد يكون ذلك النضوب مرده الى الاحداث السياسية التي توالت على الجزيرة ، وقطعتها عن العالم العربي ، واغرقتها بالجهل والنسيان .

والآن عاد الى الاتصال ما انقطع ، وراحت تلك الانفاس الجديدة تدب فيها الحياة ، واخذت مناقير جديدة ترسل الغناء ، فاذا اللحن لحن واحد ، والهوى هوى واحد ، واذا بالجزيرة المنسية ـ قلب العروبة ـ يعود قلبها الى الخفقان مرة ثانية ... تسعى سعيها الاكيد لاستعادة مكانتها من الصدارة في أدبنا الحديث .

في الرسالة منحيان بارزان : المنحى القديم ، والمنحى الحديث، ولا بد ان يعرج المؤلف على موضوعات المنحى القديم قبل ان ينفذ الى موضوعات المنحى الجديد .. والقديم ، لا بد من ان يبقى هو القديم بموضوعاته واسلوبه الفني .

والمؤلف ـ في مقدمته ـ وضح لنا خطته في العمل ، وحدد الزمان بمطلع القرن الرابع عشر للهجرة ، وحدد المكان بحدود المملكة العربية السعودية . كما جعل منهج دراسته على قسمين : عرض وتحليل ، اما العرض فقد غلب على البابين الاول والثاني بفصولهما العديدة التي تناولت تاريخ هذه البلاد ، وعقيدتها ، وشعر هذه العقيدة ، ومجاري السياسة .

اما الباب الثاني فقد درس فيه العوامل المباشرة للنهضة الادبية، ومن ذلك انتشار التعليم ، وتكون الصحافة الاولى ، ومولد الاذاعة السعودية ، اخيرا ، واثرها في تطور الادب وحركته ، والمكتبات ، والمطابع .

حتى اذا جاء دور الادب ، آثر ان يقسمه الى قسمين : تقليدي، وحديث .

اما التقليدي فهو ما يجمع تحته من اغراض الشعر المعروفة من مديح ، ورثاء ، وغزل ، وهجاء ، وفخر ، ووصف ، وحكمة ، ولكنه اكتفى بدراسة الوان ثلاثة منه : الغزل ، والمدح ، والرثاء . اما الغزل العمودي ، فهو لا يكاد يختلف شكلا ومحتوى ، عن الغزل السابق ، حيث اتخذه بعض الشعراء حلية لقلائد قصائدهم . وحيث اتخذه بعضهم صورة للتعبير عن حب صادق ، وجوى لافح . وهذا الغزل بلونيه ـ يستمد صوره ، واخيلته ، غالبا من غزل العصر الجاهلي ، او الاسلامي ، وتبقى الصورة الجمالية للمرأة عند الاسلاف هي نفسها عند المعاصرين . كأن توالي العصور ، وتعاقب الايام لم يستطع ان يبدل شيئا في ملامح هذه الصورة ، وعاداتها ، وتقاليدها البدوية . ولا ينسى شاعر الغزل ـ احيانا ـ ان ينهج نهج عمر بن ابي

ربيعة « شاعر النرجسية » المتغزل بنفسه .

وهذا محمد حسن فقي يخاطب حبيبته :

فلا تبطري بالحسن . يا رب غادة　　تمنت مشيبي بعد فوت شبابي
يسيل لعاب التافهين على الهوى　　ودودا ، ولكن لا يسيل لعابي

وقد يكون مثل هذا الغزل وليد الكبت والحرمان .

واذا كان الغزل القديم تجلبب اكثره بالاوصاف الجمالية الحسية ، فان الغزل الحديث تسامى ـ أحيانا ـ بالمرأة ، فجعلها « قسيم الحياة » و « توأم الروح » و « نور البصر » و « النجمة الهادية في ديجور الحياة » و « الروضة الظليل في هجير الايام » .

وخلاصة ما يتسم به هذا الغزل :

١ ـ شخصيته الاسلامية .

٢ ـ ظهور معالم البيئة الصحراوية فيه وفي أخيلته وصوره .

٣ ـ غلبة العفة ـ والغزل العفيف كانت البادية من مدارجه الاولى .

٤ ـ بعده عن الميوعة والتخنث .

٥ ـ غلبة الالم عليه .. مما يجعله غزلا وجدانيا صرفا .

واما باب المديح ، فاننا لا نشاهد مثيلا لكثرة المديح في شعرنا ، في أية أمة من الامم . كانت ثروتنا منه في القديم ضخمة ، وظلت ثروتنا منه في الحديث ضخمة .. وقد يكون الدافع الى المديح متنوع الغاية .. قد يكون بعضه وليد التزلف ، والتحبب ، والتمجيد والتعظيم ، وقد يكون بعضه لطلب العطاء ، والجاه . ولكن أصدق المدح ما أريد به تعظيم العظيم الذي قاد أمته ، في أحلك الايام ، نحو الرفعة والمجد ... وما ينطبق على القديم ، من دوافع المديح ، ينطبق على الحديث أيضا . وقد ورد في تراثنا فيض كثير من المدائح ، ولكن كر العصور مسح عليها ، ولم يبق منها الا ما تفجر من عاطفة صادقة ومن قضية كبرى مقدسة .

وأما الرثاء ، فلعله أصدق الشعر عاطفة ، ولا يمنع ذلك ان يأتي الرثاء ـ أحيانا ـ متكلفا ، كاذبا . ولكن الرثاء الحق هو الذي أشار اليه ذلك الاعرابي حين سئل :

ـ ما بال مراثيكم أجود أشعاركم ؟

فقال :

ـ لاننا نقولها وقلوبنا محترقة .

وهؤلاء الشعراء السعوديون الذين قالوا الرثاء ـ وقلوبهم محترقة ـ كانوا صادقين في تصوير عواطفهم ، صادقين في نقل بكائهم . ومن ذلك ما رثى به فؤاد شاكر الملك عبد العزيز :

أيها المصلح العزيز ، سلام　　يتهادى الى علاك انتسابا
كيف أسست أمة من هباء　　وجمعت الاشتات والاحزابا
كيف بدلتها الضراوة ودا　　والعداوات ألفة واصطحابا
كيف ألفت باقة من قلوب　　ما استقرت من الحياة اضطرابا
كيف سويت بين شرق وغرب　　وجمعت الاضداد والاحبابا
قد ملكت النفوس بالعرف والـ　　ـعدل ، وبالفضل قد ملكت الرقابا

معان تتراكض بيسر ، واسلوب يتهادى بيسر ... تقوده عاطفة مشبوبة غير جامحة ، لتنصرف عن البكاء الرخيص ، الى وصف مكانة الراحل العظيم . بدون غلو ولا مبالغة .

ومن هذا الرثاء رثاء الاحبة ، ولا سيما المرأة المحبوبة . التي أنف الاقدمون ان ينزلوها في الرثاء ، لان رثاء المرأة يمنع عنه الحياء.. ومن هذا الرثاء الشجي ما خاطب به الزمخشري زوجته وهي على سرير الموت :

ليس لي بعدك في الدنيا بقاء　　فاسلمي . او نسلم الروح سواء

وقد يصل الشاعر الى رثاء نفسه ، حين يجد نفسه ضائعة في دوامة الحياة ، شأن الشاعر « محمد حسن فقي » في ديوانه « قدر ورجل » .

كل هذا الرثاء ، برغم الجدة في بعض موضوعاته ، يغلب عليه الاسلوب التقليدي بصوره ، وتراكيبه .

وفي الباب الرابع ... موضوعات الادب المستحدثة ، وهي موضوعات تتناول النثر والشعر معا ، باعتبارهما يشكلان « كلا » لا يتجزأ ... ولا بد ان تطور العصر يحمل على تطوير الموضوعات بحسب الظروف ، والتحولات الحديثة ، ومن ذلك الادب الاجتماعي الذي ابدعته الآراء والنظريات الحديثة . وكان هدف هذا الادب الاول : تطوير المجتمع ليجاري الحياة ، والتوفيق بين الحضارة المضخمة وقيم البلاد وظروفها وامكاناتها وتراثها . ولعل في طليعة قضايا هذا الادب ، قضية المرأة ... التي شغلت ادباءنا في مطلع عصر النهضة ، ولا تزال تشغلهم .

وبدلا من ان يعنى الادباء بالمظاهر التي لا تغني ، فقد انصب اهتمامهم الاول على « تعليم المرأة » باعتبار « ان المرأة نصف المجتمع وهي حصن الرجال وأمهم ، ومدرستهم الاولى » .

ولعل تعليم المرأة ، وحده ، هو الذي يستطيع ان يحل كل مشاكل المرأة ، وبمقدار ما تتعلم تحترم .

وهناك قضية الفقر والغنى : وهي قضية تعاني منها المجتمعات العربية ، وقد أقبل الادباء السعوديون على وصف ضحايا الفقر بأشكال شتى من فنون التعبير ، ولكنهم لم يتعمقوا في استقصاء اسباب الفقر. الا ان نضال الادباء قد انتهى الى حلول تتمثل :

آ ـ في الزكاة .

ب ـ وفي الضرائب التصاعدية .

جـ ـ وفي الدعوة الى تأميم بعض المرافق العامة والاوقاف لانها تنفع الناس جميعا .

د ـ وفي الضمان الاجتماعي .

هـ ـ وفي اقامة المشاريع الوطنية ، وتنظيم الصدقات ، وفي احترام الفقير .

ولا ريب ان هذه الحلول الاجتماعية جديرة بأن تحل الكثير من عقدة الفقر والغنى ، وأجمل ما فيها أنها سلكت طريقا ايجابيا ، بناء ، لا يكتفي بالتمرد والسلبية .

وتلي هذه القضية قضية العمل والعمال : وتعتبر هذه القضية حديثة ، بالنسبة الى اكتشاف النفط الذي جعل من أرض المراعي ، والواحات أرضا تحيا فيها المصانع . وبينما كانت نظرة العربي ، في القديم ، الى العمل نظرة ازدراء ، أصبحت الآن نظرة اهتمام واحترام . وفجأة تعالى النداء الى تقدير « دولة العمل » وانتشرت الدعوة ، في كل مكان ، الى نشر المدارس ، والمعاهد التي تهيء عمالا فنيين « للدولة الحديثة » . فكان ، من وراء ذلك ، ان مجموعة اجتماعية جديدة قد ولدت في هذا العصر ، هي « مجموعة العمال » .

وهنالك قضية الاخلاق .. التي لا تزال علة العلل . ولا يزال بيت شوقي المأثور هو العلاج الوحيد لهذه العلة :

وانما الامم الاخلاق ما بقيت　　فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

ولكن أية أخلاق ناخذ بها ، وأية أخلاق نطرحها ؟ ان جل الادباء لا يزالون يرون ان « المثل الاعلى » في الاسلام ، هو صخرة الاخلاق الصامدة . وبذلك ، نجد اول طوابع الادب الاجتماعي غلبة الروح الدينية عليه . وظاهرة ثانية محمودة لهذا الادب الاجتماعي في السعودية هي اقتران الاقوال بالافعال ، وانسجام الادباء مع الحكام ، وسعي الجميع الى اصلاح ما يمكن اصلاحه جهد الطاقة ، وقدر الامكان .

والادب السياسي : وما اغزره . هو ادب طالما تردد في العصور الاولى ، فكان لكل فئة ألسنتها ، وكان لكل مذهب حماته . والادب السياسي قد انطلق في هذه الاتجاهات البارزة :

آ ـ اتجاه عربي ، يقصد به الدعوة الى وحدة كلمة الشعوب العربية ، وهو بذلك يشارك أي أدب عربي في الاقطار العربية .

ب ـ واتجاه اسلامي ، كان لا بد ان يتأثر بالدين ، ليشارك هذه

سآتي معك

سآتي بخفقة روحي معك
أطير بنبضي كي أرجعك
سآتي واحمل في أضلعي
حنينا تسوق له أضلعك
سآتي وأصنع من أحرفي
كتابا يضم الاماني معك
سآتي اليك برغم جراحي
ويمسح نبضي هوى أدمعك
أصوغ دعائي لحنا شجيا
بهمسة قلبي كي أسمعك
نعود مما يا نجي الفؤاد
سلمت حبيبي ما أروعك

القاهرة فاطمة عبد المقصود يوسف

المجموعة البشرية المسلمة في شتى القارات بآمالها واحزانها .

ج ـ واتجاه عالمي : يتجلى في تبني الحركات التحررية للبلاد المستعمرة .

فمن شعرهم الملبي نداء الوحدة : لابراهيم الفلالي :

اخي . بالوحدة الكبرى نعيش العمر احرارا
ونجعل من مرابضنا قلاعا تنفث النارا

ونداء طاهر الزمخشري :

نسب نادى نبيه فاهابوا ودم ثار ، فلبوا واجابوا
عرب هاجت بهم ثاراتهم فاذا الوحدة للمطلب باب
قد دعوا للمجد في صحبتهم فاذا الدنيا سؤال وجواب

وهيهات ان ينسى هذا الاتجاه قضية فلسطين التي هي قضية العرب والمسلمين أجمعين . وقد اسهم الادباء السعوديون في وقوفهم عند هذه القضية منذ عهد بلفور الى ما أحاط بهذه القضية من مؤامرات . كما اكثروا من القول في موضوع اللاجئين .

ومن أجمل القصائد قصيدة أحمد قنديل : « انا اللاجيء »

انا اللاجيء ، يا أماه للمسطور من قسمي
ومن بلدي وفي بلدي الى صف من الخيم
انا اللاجيء يا أماه من راسي الى قدمي
فهل أحسست يا أماه بالذل الذي بدمي
أبعد الوطن المحبوب تصبح : موطني خيمي

وقد كثر هذا اللون في شعرهم ، بحيث لا نستطيع الا ان نذكر باكبار مشاركة هؤلاء العرب للعرب في محنتهم الكبرى . ولم يقف الامر بهم عند وصف النكبة وتصويرها ، بل كانوا ايجابيين في جعل المقاومة لونا من « الجهاد المقدس » . ومن يتيسر له الاطلاع على الادب السياسي اطلاعا كافيا يدرك أنه ادب يتصل بالادب السياسي في البلاد العربية المجاورة . وتلك هي معجزة الوحدة الكبرى .

وفي الباب الخامس : حديث واف عن الاداء الفني في الشعر السعودي ، وهو اداء يشبه كل اداء ، منه ما كان تقليديا جامدا ، او تقليديا متطورا حالف النهضة الاولى للشعر . ومنه اداء متجدد ، راح يظهر في اواخر الحرب العالمية الثانية ، متأثرا بالاتصال المباشر بأهل التجديد في الاقطار العربية . واخيرا ذلك « الاداء الواقعي » الذي وقف فنه للمجتمع ، او كقضية التزم بها .

والخلاصة ان الشعر السعودي يتفاعل مع مؤثرات عديدة ، بعضها قديم يتصل بالادب العربي العريق ، وبعضها حديث ، فيه ما ورد من الاقطار المجاورة ، وفيه ما عبر من خلف البحار ، وفيه الاجنبي قدم بلغته الاصلية ، او مترجما . ولكن مصدر الابداع فيه هو ان الشاعر السعودي لم يجمد على اقتباس صور القدماء ، او رسم صور البيئة ، ولم يكتف بترسم المحدثين من زملائه العرب ، بل كان يمزج القديم بالحديث ، ويضيف اليها الوانا محلية مناسبة ، فنجح الى حد مقبول .

وفي الباب السادس ، يتطرق المؤلف الى الفنون الادبية المستحدثة ... من هذه الفنون : « القصة » وهي في مولدها ، وتطور نشأتها نظيرة للقصة في الاقطار الاخرى . والقصة الفنية حديثة العمر ، في اصولها الفنية . اما الخيط الاساسي الذي اتبعته القصة فهو الارتباط بالاتجاه الاجتماعي ، والوطني والتاريخي والديني .

والفن الثاني هو فن المقالة ، وقد عالج الادباء السعوديون المقالة بانواعها ، من ادبية ، ونقدية ، واجتماعية ، وسياسية ، متاثرين بأسلوب رجال المقالة الذين نضجوا قبلهم في الاقطار العربية ، ولاسيما مصر . وقد تطول المقالة لتحول بحثا عاما ، او دراسة منهجية ، تجعل همها دراسة ادب الجزيرة . واكثر من طرق هذا الباب شباب مثقفون ثقافة جدية جيدة . ولكن الدراسات النقدية لا تزال قليلة نسبيا . لان طريق النقد مملوء بالاشواك ..

حقا ، ان طريق النقد مملوء بالاشواك . واشهد انـي حرصت على ان ابحث عن ثغرة في هذه الرسالة انفذ منها ... فكنت ارى الدرب مسدودا ، لان المؤلف احاط بموضوعه ، وتحصن بمصادره ، ثم تجرد عن الهوى ، فجاءت احكامه بتجرد واحكام ، لا يريد منها الا وجه الحق والانصاف . وبذلك ضرب اروع مثل في خلق الباحث الدؤب ، ونبل القاضي الذي جعل العدل متوخاه ، دون ان يحمل ظلما ، او يماليء حكما . وهو الذي درس القضاء كما درس الادب .

وبذلك وحده استحقت هذه الرسالة ان تكون مرجعا وافيا لكل دارس ادب الجزيرة ، وستبقى محتلة الصدارة زمنا طويلا ، لانها عمل متقن ، قد رفده العقل ، ومسحه الفن .. وكان رسالته الضخمة بمثابة عملية مسح كبرى للادب ، في تلك المنطقة القارية ، القت الضوء على عهد مجهول ، ومنطقة اغفلها الدارسون اثني عشر قرنا ، على مستوى موضوعي ، جدي شامل ، حتى كان عمله ـ كما وصفه احد اعضاء اللجنة الفاحصة ـ اشبه بعمل المخاطر الاول الذي جازف بنفسه ومستقبله ، في ريادة عالم مجهول ، خال من الاسناد الثابتة ، والمعالم الواضحة ... انه عمل جيل لا عمل فرد . سد فراغا كبيرا في موسوعة الادب السعودي .

واين مستوى هذه الرسالة من مستوى تلك الدراسة « الحياة الادبية في جزيرة العرب ـ عام ١٩٣٠ للدكتور طه حسين » التي لا تحمل طابعا دراسيا موضوعيا .

وبعد فهذا منتهى ما طمح اليه القلم ، وسبحان من علم الانسان ما لم يعلم . فاذا كنت قد اغدقت في بعض المواقف ، فلانني لا انسى ان الفرسة غرستي ، والانسان ميال الى ما يغرس ، فخور بما يعطي من نفسه وادبه .

حلب خليل الهنداوي

كانت تظن انه نائم ولكنها حينما فتحت عينيها راته مستيقظا ، واحست بشيء من الانزعاج . ما له ؟ وتطلعت اليه مستفسرة . عيناه ساهمتان تحدقان في لا شيء باتجاه السقف . وانصتت قليلا . ثمة زفير مكتوم يخرج من صدره . ما له ؟ وبدأت اعصابها تتمزق ، وسألته :

ــ ما لك يا خليل ؟

التفت اليها نصف التفاتة . وتفرست في وجهه . كان يرقد فيه حزن دفين . وجاءها صوته يتأجج فيه الهم :

ــ استيقظت ؟

امتدت يدها تمسح على شعره وقالت :

ــ لماذا لم تنم حتى الآن ؟

رمقها بنظرة سريعة . هل يبوح لها بما يحس ؟ وتزاحمت النقط مرتحلة عن الحروف . وتنهد في عمق . متى تجد كل مشكلة حلا جديا ؟ وقال :

ــ لا أشعر برغبة في النوم .

توقفت حركة يدها (وكانت فوق جبهته تماما) تصفعها حيرة مشدودة الى التأزم . وتسأله بلهجة مضطربة :

ــ لماذا ؟

استدار اليها . جعل ينظر الى عينيها السوداوين . تسألين ما الذي يجعلني ارقا ؟ ينفخ في أسف . عيناك كانتا بيارات برتقال والف كرمة زيتون اخضر ، وفي لهيبهما كانت النار تذوب ولم يكن شيء (في الوجود) قادرا على التخلص من أسرهما وانظري اليهما الان . ما لهما ذابلتان منطفئتان كأن لم يضيء فيهما سراج منير ؟

ــ لا شيء

ــ ما هذه عادتك ؟

ــ هذه هي الدنيا

ــ هل اصارحك بشيء ؟

ــ ماذا ؟

ــ حالك هذه الايام لا يعجبني

ــ كيف ؟

ــ انه يجعلني اقف حائرة لا اكاد افهم شيئا البتة

ــ لا اظن ان شيئا واحدا قد تغير .

ــ كل شيء فيك قد تغير .

ونظرت اليه بتأمل . اين ابتسامتك المضيئة ؟ وقالت :

ــ لقد أصبحت شيئا مختلفا تماما .

ــ أنا ؟

ــ نعم .

ــ لا اظن .

ــ كنت نقيا لم تلوثك ما بالزمن من آفات .

ــ وقد تلوثت الان ؟

ــ كلا ولكن ..

ــ ماذا ؟

النور ينتشر بسرعة

قصة

بقلم حسين ابو النجا

ــ انك تعيش في عالم آخر

ــ لم اتركك لحظة .

ــ نعم و ..

وصمتت قليلا ثم قالت :

ــ انك معي بجسدك ولكنك تعيش في عالم آخر . عقلك دائما في عالم آخر . لا اعرفه . ترى أي غين اصابتك ؟

ــ هل انتهيت ؟

فقالت بابتسام :

ــ لا أحب ان اراك حزينا

ــ وانا لا احب الحزن

ــ لكنك حزين

ــ رغما عني

ــ وهذا الحزن يقتلني

ــ لا اشك في ذلك

ــ فقل لي عن سبب حزنك

ــ لتزيليه ؟

ــ اذا استطعت .

ــ لن تستطيعي

ــ ولماذا هذا التشاؤم ؟

ــ اسألي القدر .

جلست في الفراش . يظل مستلقيا على ظهره (تبدو عليه سيماء المطوف في عالم غامض) الالم ولد وكبر . تراه يموت ؟ تتأمله بود . له قدرة خارقة على المضي بأفكاره الى ابعد حد . دائما يبدأ من نقطة صغيرة ولكنه ينتهي الى عالم فسيح لا تستطيع الشمس ان تضيئه دفعة واحدة فتقسمه الى نصفين . نصف تضيئه في الليل والنصف الآخر تضيئه في النهار . وفي البداية و (اول ما تعارفا) ظنت ان به مسا من خبال ولكنها (فيما بعد طبعا) تبين لها انه ذو خيال خصيب ، ورأت ان الحياة معه سيتلالأ فيها معنى الوجود فتزوجته ، ولكنه في الشهرين الاخيرين (منذ الاحتلال الجديد) قد تغير تماما ، وقالت :

ــ الا تريد شيئا ؟

انفجرت احاسيسه . أريد اشياء . ونظر اليها طويلا ، أريد ان ينقلب العالم رأسا على عقب . ان يغور في ثنايا العدم فلا يبقى له اثر . اريد ان ارى طفلا صغيرا يعيش في احلام الطفولة . تغسل الفرحة عينيه بدلا من الالم الذي ينغل في العظام . اريد للاطفال ان يدغدغهم نور المستقبل الوضاء فلا يتألمون ولا يحزنون ولا يحسون انهم يعيشون في الظلام .

ــ كل الذي اريده ان لا يتيتم الاطفال .

ــ آه ..

واسترجع عقلها صوتا متفجعا ينطلق من بيت جارهم وعرفت فيه صوت أم ابراهيم وتساءلت :

ــ ماذا حدث ؟
(وفيما بعد عرفت ان رصاصة ملعونة قد اصطادت زوجها وهو يطل من فوق السور) وبعد أيام جاءها ابنه محمد :
ــ عمتي هل عندكم لقمة ؟
وانفجر السؤال الذي كان كامنا في اعماقها :
ــ لماذا تريد بنا هذا يا رب ؟
وصرخت بألم :
ــ لماذا ؟
وودت ان تظل تصرخ لولا ان والديها قد زرعا في قلبها الايمان ، ووجدت ان صرختها احتجاج ضد ارادة الله فتراجعت ، وارتفعت في ذاكرتها صورة جثة ملقية بجانب الحائط واختلطت بصورة الطفل وهو يطلب لقمة فنزف قلبها حقدا ثريا وصرخت :
ــ ملعونون .
فتساءل بصوت خافت :
ــ من هم الملعونون ؟
ــ سبب كل هذه الاحزان .
ارتفع في وجهه أسى ملحوظ وتنهد من جديد . فتح الباب امام احزان جديدة . اخذت تتدفق الى الداخل . لو ان الباب ظل مغلوقا . وقال وهو يمسك بيدها :
ــ نحن خلقنا للحنين .
اريد ان نفرح مرة واحدة .
ــ قريبا .
ــ متى ؟
ــ عندما يريد الله .
ــ ومتى يريد ؟
وندت عنها آهةمنكسرة والقرميد تشقق بعضه من قوة الانفجارات ، وفي الرؤوس يعتصر الالم العقول والصمت الملعون ما زال يزيد في احكام قبضته على المدينة . يتأملها مليا . الجبين خلا من الاحلام وقد كان يغني لربيعها . وعلته رغبة في التشوق الى الفرحة وقال بحرارة :
ــ تريدين ان تفرحي ؟
ــ نعم .
ــ فتزودي بالاحزان .
ــ ماذا تعني ؟
ــ لكي يفرح الانسان يجب ان يحزن اولا .
ــ ولكننا منذ ان ولدنا ونحن حزانى ومع ذلك فلم نفرح مرة .
ــ هذا الحزن لا يكفي .
ــ فماذا يكفي ؟
ــ ان نموت من الحزن .
ــ حتى انت .
ــ ما لي ؟
ــ لا شيء .
ــ تعرفين .
ــ ماذا ؟
ــ ان الحياة اصلها حزن وستظل حزنا الى يوم يبعثون .
ــ لا تزد همي .
ــ هذه هي الحقيقة .
ــ ارجوك .
ــ ان اكف عن ذلك ؟
ــ نعم .
ــ ولكن لا بد من معرفة ذلك .
ــ حتى يزداد الحزن ؟
ــ حتى لا تنتكسي .
ــ أو .. او ..
ــ لست افضل من آدم وحواء .
ــ انجبونا لكي نظل نحزن .
ــ لقد حزنا قبلنا .
ــ ولكن ليس مثلنا .
ــ لقد هبطا من الجنة .
ــ ثم عادا اليها .
ــ وقتل ابنهما اخاه .
ــ ونحن ظللنا نموت منذ الهجرة
ــ وما زلنا .
ــ وسنظل .
ــ حتى تجيء الفرحة .
ــ اتعتقد انها ستأتي ؟
ــ بالتأكيد .
ــ متى ؟
ــ انظري هو ذا الفجر .
نهضت وهي تسعل سعلة خفيفة . ونظر الى النافذة . كان النور يبزغ رويدا . ولم يستطع البقاء . تململ في السرير ثم جلس. ما زال الراس يلفه الهم . وود ان تشرق الشمس بسرعة . كانت ليلة طيبة على اية حال . راسان ثقيلان تطعما ضد العذاب وامتلأ حتى فاضا ونادى :
ــ مريم
جاءته من الخارج وهي تقول :
ــ نعم .
ــ ناوليني علبة السجائر .
ــ الا تنتظر الشاي ؟
ــ اريد ان انفث دخانا في اعقاب الليل .
ــ اتركه بحاله .
ــ لقد جرحنا بعنف .
ــ ها هو قد ذهب .
ــ بعد ان ..
قاطعته بلين :
ــ لننس كل شيء .
ــ لا يجوز النسيان .
ــ يجب ان نبحث عن مستقبل فيه عزاء .
ــ هل يكون ؟
ــ بلا مراء .
ــ يا ..
ــ ما لك ؟
ــ لقد تغيرت انت ايضا .
ــ حقا .
ــ نعم .
وشعر بارتياح وهو يرى النور ينتشر من خصاص النافذة . وخشي ان تؤوب الكآبة فتتلوث الفرحة المنتظرة فقام الى النافذة . فتحها وهو يقول لنفسه : ليكن ما يكون . تدخل وبيدها صينية فوقها الشاي فتهتف :
ــ ما زال التجول ممنوعا .
ــ وماذا في ذلك ؟
ــ اخاف ان ..
ــ لا تخافي .
ــ مات ابو ابراهيم .
ــ اريد ان اتمتع بالضياء .
ــ قد تصيبك رصاصة .
ــ وقد لا تصيبني .
ــ « الطوبة لا تجيء الا في المعطوبة » .
ــ اكون ساعتها قد ملأت رئتي بالنور .
وضعت الصينية على طرف السرير ثم مضت تقف بجانبه امام النافذة . كان النور قد بدأ ينتشر بسرعة .

الجزائر **حسين ابو النجا**

على ضفاف مجردة

●

مهداة الى الدكتور يوسف عز الدين ذكرى للقائنا على ضفاف مجردة وتقديرا لقصيدته المنشورة في الاديب الغراء بعنوان تونس الخضراء

أتونس يا ربة المزهر — وباعثة النور في الاعصر
لك المجد تيهي بما نلته — من المغنم الوافر المثمر
نشرت المحبة بين القرى — وأهديت للعالم الاكبر
فأرضك مهد الجمال الرطيب — وجوك جو السنا المقمر
وافقك للنور مستودع — يوزع من فيضه الممطر
أتيتك واللقب في لهفة — الى عالم بالعطا مزهر
وجئت وفي القلب شوق المحب — لارشف من وردك الكوثري
فعدت وقلبي في نشوة — بما نال من مربح نير
أتونس أنت مراح الفؤاد — وأنت منى الشاعر العبقري
وفي جوك الرحب صنعت القريض — وأنشدتك اللحن من مزهري
وارسلت الحاني الشاديات — بآفاق مجردة (1) الانور
فمن ضفة النهر وحي سرى — بروحي . ولولاه لم اشعر
أتونس ان نشيد الضفاف — تهادى من المنبع الاطهر
لقد صغته من شذا الذكريات — وهن عواطر كالعنبر
وللذكريات بقلبي الطهور — منازل خالدة الجوهر
ستبقى مدى العمر وضاءة — تذكرني بالهوى الازهر
تذكرني بالضياء المنير — وبالملتقى الطاهر الخير
تذكرني بالليالي الوضاء — وبالحب في ربعك الاخضر
وبالمجد قد همت حتى بدا — لي المجد في طرفه الاحور
ففيك البطولة هتافة — لرب الفصاحة والمنبر
وفيك الخيال المشع الخصيب — يفدي الشعور مدى الادهر
فيا تونس المجد ذات الجلال — لك الشعر يصدح بالمزهر

---

1 ـ هو نهر مجردة . ينبع من جبال الجزائر ويصب في البحر المتوسط قرب قلعة الاندلس في تونس .

تونس ـ سفارة الكويت — فاضل خلف



الدكتور احمد الشرباصي

الدكتور عبد المنعم النمر

بقلم الدكتور احمد الشرباصي

* * *

التاريخ : هو يوم الخميس الخامس والعشرين من جمادى الاولى سنة ١٣٩٢ هـ ـ السادس من شهر يوليه (تموز) سنة ١٩٧٢ م . والمكان هو قاعة الاستاذ الامام محمد عبده ، بجامعة الازهر في حي الحسين رضي الله عنه بالقاهرة . والحاضرون جمع غفير من رجال الازهر وشبابه واساتذة الجامعات وشبابها ، والمهتمين بشؤون العلم والفكر والتاريخ . والموضوع هو مناقشة الرسالة العلمية التاريخية ، التي تقدم بها الدكتور عبد المنعم النمر مدير البعوث بالازهر ، لنيل درجة الدكتوراه في الدراسات التاريخية من جامعة الازهر ، ومن قسم التاريخ بكلية اللغة العربية ـ حرسها الله ـ معقلا للغة القرآن وادب العرب .

والدكتور عبد المنعم النمر من العلماء الباحثين الدارسين المنتجين ، الذين يفتحون الابواب الفكرية على عقول الناس وقلوبهم بالكلمة المكتوبة في الصحف والمجلات والكتب ، والكلمة المسموعة في الاذاعة ، والكلمة المرئية ـ ان صح هذا التعبير ـ في التلفزيون ، وهو يسهم بمحاضراته هنا وهناك ، وله عدة كتب ومؤلفات تشهد بطول الباع في البحث والتفكير ، ومنها : « تاريخ الاسلام في الهند » و « كفاح المسلمين في تحرير الهند » و « الاسلام والشيوعية » و « الاسلام والمبادىء المستوردة » و « دراسات بين الدين والحياة » .

وقد قضى سنوات في الهند مبعوثا من المؤتمر الاسلامي في مصر ، وسنوات في المملكة العربية السعودية ، مبعوثا للازهر الشريف ، وسنوات في الكويت مبعوثا للازهر كذلك ، وكان رئيسا لتحرير مجلة « الوعي الاسلامي » هناك عدة سنوات .

وهو من ناحية السن قد تجاوز الخمسين بكثير ، ودون الستين بقليل ، فما الذي دعا ذلك العالم الازهري ، والرجل المكتهل ، الى ان يعود طالبا من جديد ليبحث ويكتب ، ويحلل ويناقش ، ويقف موقف الطالب من لجنة المناقشة ، ليحصل على لقب « فضيلة الدكتور » ؟ لعل سر ذلك هو التدليل على مواصلة طلب العلم الذي يبدأ من المهد ويمتد الى اللحد ، وهنا يعطي الدكتور مثلا يحتذى في الاصرار على طلب العلم والاستمرار في البحث مهما تقدمت به السن .

وموضوع الرسالة هو « مولانا ابو الكلام آزاد : حياته وجهاده الديني والوطني في سبيل تحرير الهند » . والرسالة تقع في مجلد ضخم تبلغ صفحاته خمسمائة صفحة من الحجم الكبير بملحقاتها .

ولجنة المناقشة تتكون من الاساتذة الدكاترة : زكي غيث (المشرف) وعبد الفتاح شحاتة ، ومحمود زيادة .

ويقف الطالب المجوز امام الجمع الكبير من المشاهدين والمناقشين ليحدثهم عن سبب اختياره هذا الموضوع لرسالته ، فيذكر ان ذلك يرجع الى نقطة تحول في ثقافته شدته شدا قويا الى العناية بتاريخ الاسلام في الهند ، ونقطة التحول هذه هي ارساله من قبل الازهر والمؤتمر الاسلامي بمصر الى الهند سنة ١٩٥٦ . وحين تهيأ للسفر لم يجد امامه من المعلومات عن الهند ما يكشف له احوال البلاد التي يتجه اليها . واضطر ان يسافر وهو على غير علم بحياة المسلمين وتاريخهم فيها ، وخلال اقامته هناك تكشفت له حقائق اغرته بالبحث والتنقيب عن تاريخ الاسلام في الهند ، حتى تعلم من اجل ذلك اللغة الاوردية ، وكانت حصيلة ذلك ان اخرج اول كتبه « تاريخ الاسلام في الهند » سنة ١٩٥٩ في نحو خمسمائة صفحة . ولاحظ ان هناك كتبا كثيرة عن زعماء الهند من غير المسلمين ، ولكن زعماءها المسلمين لا يوجد عنهم مثل هذه الكتب ، فرأى انصافا لجهاد هؤلاء الزعماء وكفاحهم ان يكتب عنهم ، فكان كتابه الثاني « كفاح المسلمين في الهند » سنة ١٩٦٤ في نحو اربعمائة صفحة .

وحين كان يكتب عن تاريخ الاسلام في الهند ، وعن كفاح المسلمين في تحرير الهند ، لفت نظره عالم من العلماء المتنورين ، ومجاهد من اعلام المسلمين ، قاد

حركة الاصلاح الديني ، وابلى في ذلك بلاء حسنا كان له اثره في الايقاظ والتجديد ، وفي الوقت نفسه وصل الى قمة الحركة السياسية وقادها في اعنف مراحلها ، وانشأ المجلات واتخذ منها منبرا لمهاجمة الاحتلال ، وايقاظ قومه وتنبيههم الى مبادىء الاسلام التي تنفر من الاستعباد ، فطارده المحتلون ، واغلقوا مجلاته واحدة بعد اخرى ، وصادروا مطابعه ، ونفوه من بلده «كلكتا» والقوا به في غيابة الاعتقال خلال الحرب العالمية الاولى ، ولم يفرج عنه الا في اول سنة ١٩٢٠ .

لفت الزعيم ابو الكلام ازاد نظر الدكتور الباحث ، فوجده جديرا كل الجدارة بأن يكشف بعض عظمته ، وان يجعله موضوع رسالته التي بدأها بالحديث عن الدوافع التي دفعته الى اختيار الموضوع ، ثم انشأ مدخلا خصصه لالقاء اضواء على الهند منذ دخلها الاسلام الى عصر ازاد ، حتى يتبين ماضي المسلمين وحاضرهم في تلك البلاد الكبيرة ، ثم عقد الباحث فصلا عن التعريف بالزعيم ابو الكلام ، فأبان كيف وفدت أسرته على الهند من افغانستان في عهد الامبراطور « شاهجان » الذي تولى الحكم سنة ١٠٣٧ هـ ـ ١٦٦٨ م . وكانت أسرة ازاد أسرة علم هيأ لها ان يتولى افراد منها مناصب ملحوظة في قيادة الدولة الاسلامية ، واستمرت في الهند حتى احتل الانجليز بوساطة « شركة الهند الشرقية الانجليزية » على البلاد . وهنا لم يطق جد ازاد ان يقيم في البلاد ، فهاجر الى مكة ، ولكنه توفي في الطريق ، وواصل ابنه الرحلة الى مكة ، وتزوج بامراة عربية ولدت له « محي الدين احمد » وهو ابو الكلام ازاد الذي عاد مع والده طفلا الى كلكتا ، ونشأ ابو الكلام في كلكتا ، وتخرج في دراسته كعالم ديني ، ولكنه تطلع الى آفاق واسعة ، فدرس كتبا كثيرة مختلفة ، وتفتق ذهنه واتسع افقه ، ومرت به مرحلة شك خرج منها سليما ، واختار لنفسه لقب « ازاد » ومعناه « حر » ، واخذ ينشط في الميادين السياسية ، ورحل الى كثير من البلاد الاسلامية ، ولقي زعماء الحركات الاصلاحية ما بين روحية ووطنية ، وزار فرنسا ثم عاد الى الهند .

وفي الفصل الثاني من الرسالة تحدث الدكتور النمر عن « ازاد المصلح الديني » ، فأشار الى تأثره بالاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، وكيف نشأت صلة وثيقة بينه وبين السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار . ولذلك استقر عزمه على اخراج مجلة تكون لسانا لنشاطه وآرائه ، فأصدر مجلة سماها « الهلال » في كلكتا ، وقد صدرت في يونيه سنة ١٩١٢ ، وانتشرت انتشارا كبيرا ، ولكن المحتلين وقفوا في طريقها ، واضطهدوا صاحبها حتى فكروا في اغتياله ، لانه كان يهاجم الاستعمار ويدعو الى الحرية والاستقلال ، وفي يونيه سنة ١٩١٥ اغلقت سلطات الاحتلال مجلة « الهلال » ، وصادروا المطبعة .

ومع ذلك لم ييأس أبو الكلام ، بل انشأ مجلة اخرى باسم « البلاغ » فأغلقها الاحتلال وصادر مطبعتها، وابعدوه عن كلكتا في مارس ١٩١٦ ، واوعزوا الى الولايات لمنع دخوله فيها ، فلم يجد امامه الا مدينة « رانشي » وهي قريبة من كلكتا ، فاقام فيها مدة ، ولكن الاحتلال عاد فاعتقله في يوليه سنة ١٩١٦ .

وكان ابو الكلام بليغا فصيحا ، وكاتبا قديرا ، وقد شهد له الناس باسلوبه الذي تميز به ، فاستغل ذلك في دعوته ، حتى التف الناس حوله ، يتابعونه حيثما تحدث او خطب ، ويتابعون ما يكتبه بشغف ، ويتأثرون بذلك تأثرا عميقا ، وبذلك اوجد حوله مدرسة ورأيا عاما ، وكان يؤمن بأن القرآن الكريم منبع للهداية والاصلاح والتوجيه ، وانه ينبغي تقريب فهمه للناس ولطلاب المدارس الدينية ، ولذلك عزم على ان يتناول القرآن بتفسير واضح مفهوم ، بعيد عن الحشو والخرافات والاسرائيليات ، متابعا في ذلك اعلام الاصلاح الديني من امثال ابن تيمية وابن القيم وجمال الدين الافغاني ومحمد عبده ورشيد رضا .

واقدم ابو الكلام على تنفيذ عزمه ، فتناول موضوعات من القرآن ، ووقف امامها طويلا بالتحليل والتفسير ، وبدأ ينشر ذلك في مجلته « البلاغ » ، ولكن الاحتلال عاجل بمصادرتها .

وفي هذا الفصل تحدث الباحث عن تفسير ازاد للقرآن ، او ترجمته لمعاني القرآن بتعبير ادق ، وقد طبع من هذا التفسير حتى سورة النور بعنوان « ترجمان القرآن » ، ولم تسلم ترجمته لمعاني القرآن من ناقدين ومعارضين ، اشتد بعضهم او اشتط في الهجوم ، حتى تناولوا عقيدة الرجل بكلام واتهام ، وقد بذل الباحث جهدا كبيرا في الدفاع عن آراء ابي الكلام وانصافه من مهاجميه الذين ينتسبون الى مدرسة التقليد والجمود عليه .

كما تحدث عن دعوة ازاد الى الاجتهاد والتحرر من الآراء التقليدية ، ومن امثلة اجتهاده وعميق بحثه ما فعله في موضوع « ذي القرنين » ، فقد استعان بآيات القرآن وبالتوراة والتاريخ وكتب الآثار ، وقام برحلة الى ايران حيث توجد آثار ذي القرنين .

وبعد البحث الطويل والتأمل العميق انتهى ابو الكلام أزاد الى ان المراد بذي القرنين هو « كورش » الامبراطور الفارسي . وقد طبق ابو الكلام ما جاء في تاريخ هذا الامبراطور على ما جاء في القرآن الكريم ، من وصف لذي القرنين ، فوجد تطابقا كاملا بينهما ، وزاد على ذلك فرسم خريطة في تفسيره تبين رحلات ذي القرنين التي تحدث عنها القرآن ، وتبين السد ومكانه .

ويرى الدكتور النمر ان ازاد هو اول عالم مسلم وصل الى حقيقة ذي القرنين نتيجة لدراسة علمية

واسعة عميقة ، وان بحثه يعد فتحا جديدا في هذا الموضوع ، بعد ان ظل المفسرون والمؤرخون يختلفون في أمر ذي القرنين ، دون ان يبلغوا الحقيقة .

ولذلك جعل الباحث ما كتبه ازاد ملحقا من ملاحق رسالته .

ثم يأتي الفصل الثالث من فصول الرسالة ، وهو عن « أزاد الزعيم السياسي » .

وهنا يذكر الدكتور النمر ان ازاد عند خروجه من المعتقل سنة ١٩٢٠ وجد الراي العام قد تحرك ضد المستعمر ، وهذا هو ما كان يدعو اليه ابو الكلام ازاد في الماضي عن طريق مجلتيه الهلال والبلاغ ، وعن طريق خطبه واحاديثه ، فلم يكن امامه الا ان يشرع في الاسهام مع قومه في تطبيق ما دعا اليه ، فنزل لقيادة الجماهير التي تأثرت بدعوته وآمنت بها ، فانضم الى حزب المؤتمر الهندي ، دون ان يقطع علاقته بالهيئات الاسلامية الاخرى ، مثل حركة الخلافة ، وجمعية علماء الهند التي كانت تجاهد كذلك ضد الاحتلال .

وقد رحب حزب المؤتمر الهندي بازاد ، واحله المقام اللائق به بين زعمائه ، وكانت الهند قد شرعت تسير نحو حركة « العصيان المدني » التي اتخذها المسلمون في الهند شعارا لهم في كفاحهم ضد الانجليز ، ثم اعلنها المهاتما غاندي الزعيم الهندي الروحي المشهور ، واخذ ابو الكلام ازاد مع غاندي ــ او بدونه ــ في طول البلاد وعرضها داعيا الى حركة العصيان ومقاطعة الاحتلال ، فاعتقله الانجليز ، واتهموه بانه يثير الشعب ، وكان ذلك في ديسمبر سنة ١٩٢١ ، وحاكموه وحكموا عليه بالسجن لمدة سنة .

ويعجب الباحث اعجابا كبيرا بموقف أزاد خلال محاكمته ، فقد كان بطلا جريئا ثابتا ، وقد تحدث في المحاكمة عن مقاومة الاسلام للاستبداد ، وذكر في ذلك بحثا تاريخيا عميقا مدعوما بالادلة والشواهد ، ولم يحاول ان ينفي التهمة عن نفسه ، بل اخذ يسوق الادلة لاثبات التهمة على نفسه ، واعلن ان قرة عينه في هذا العمل الذي تعده حكومة الاحتلال جناية ، لانه يقوم بفرض اوجبه عليه دينه وايمانه وهو مقاومة البغي .

ودلل الباحث على شدة اعجابه بمرافعة ازاد في محاكمته بأن جعل هذه المرافعة احد ملاحق الرسالة .

وخرج مولانا ابو الكلام ازاد من الاعتقال فاختاره عارفو جهاده وفضله رئيسا للحزب ، وكان يومئذ في الرابعة والثلاثين من عمره ، فساءه ان يجد الفرقة قد نشرت سمومها بين ابناء الهند ، وذهبت الوحدة الوطنية ، واستعلنت الخلافات الطائفية والمذهبية ، فاخذ ابو الكلام بذكائه واتزانه واتساع افقه يطب لذلك الداء العضال ، ليراب الصدع ويلم الشمل ، ومع عظيم ما بذل وحاول ، كانت الفتنة اطغى واقوى منه ومن طاقة أي زعيم آخر .

وبذلك ضعفت الحركة الوطنية التحريرية ، ووصل الدخلاء الى ما ارادوا من سياستهم المعروفة : « فرق تسد » . ومرت فترة هدوء نسبية في الجبهة الوطنية ضد الاحتلال ، وحينما تقدم الانجليز بحركة اصلاح دستورية تقدم حزب المؤتمر الى الانتخابات وفاز بالاغلبية في اكثر البلاد ، وقام بتشكيل الوزارة ، وبقي ازاد مع اثنين من الاعضاء خارج الوزارة ، ليشكلوا لجنة عليا لتوجيه الوزراء ، وظل هذا الوضع حتى اعلنت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ ، واعلن الانجليز دخول الهند الحرب دون استشارتها ، فاستقالت الوزارة ، ودخل حزب المؤتمر في صراع جديد مع المحتلين .

ثم يأتي الفصل الرابع من فصول الرسالة ، حيث يتحدث الباحث عن قيادة ازاد لاخطر مراحل الكفاح ، فقد اجمع حزب المؤتمر وعلى رأسه المهاتما غاندي نفسه على ان يختاروا ازاد ليتولى رئاسة المؤتمر ويقوده في اخطر مرحلة يمر بها ، وانما اختاروه ليكون الربان الماهر الذي يقود سفينة البلاد بين امواج عاتية خلال فترة الحرب الشرسة .

وفي هذه المرحلة الخطيرة تجلت مواهب الزعيم الحكيم ، والعالم المصلح ، في ميدان السياسة ، والكر والفر ، ومواجهة الازمات ومواجهة العواصف ، واذا كان غاندي قد غلبت عليه نزعة التصوف وسياسة المقاومة السلبية ، فقد ظهر ابو الكلام ازاد زعيما سياسيا ماهرا ينازل دهاة الانجليز ، وكان يرى ان الهند المحتلة المستعبدة فاقدة الحرية لا يمكنها ان تشترك في الدفاع عن الحرية مع الحلفاء ، وهي محرومة منها ، فاذا اعلن الانجليز انهم سيعطون البلاد حريتها واستقلالها بعد انتهاء الحرب ، وشرعوا يعدون لذلك فعلا باشراك الهنود في الحكم فان الهند توافق على الحرية محروم من هذه الحرية .

وقامت حركة عصيان اخرى سنة ١٩٤٠ قادها ابو الكلام أزاد ، واعتقله الانجليز وسجنوه سنتين ، ثم اضطرت قوات الاحتلال الى الافراج عنه ، تحت ضغط امريكا ، بعد هزيمتها المشهورة امام اليابان ، وذلك لكي يتولى ابو الكلام ازاد امر المفاوضات باعتباره رئيسا للحزب . ولكن الانجليز عادوا فخانوا العهود والوعود ، واعتقلوا ازاد وغيره من الزعماء حيث ظلوا في غيابة السجن الى انتهاء الحرب ، حيث اتجهت انجلترا بعد ذلك مضطرة الى حل مشكلات الهند ، فأرسلت وفدا للمفاوضات ، وكان ابو الكلام ازاد هو ممثل الهند فيها ، وانتهت المفاوضات بتسليم الهند الى اهلها وتقسيمها الى دولتين : الهند وباكستان ، وكان ازاد ضد فكرة التقسيم ، ولكنه لم يستطع مقاومتها بسبب قسوة الاضطرابات الطائفية القاسية .

عـــودة

★

لا تهـدهـد بالمنـى قلبي فقد
عاف هـذا القلب في الدهر .. مناه

يـا أخ الـروح ذوى مـا تبتغي
من جنى زهري .. لقـد جف جناه

أيـن مـن عمري زهـر نـاضـر
عاشت الايام في طيب .. شذاه

وفـؤاد .. متـرف .. روعـه
زمـن اعمى ، ولـم يرحـم صباه

كلمـا ردد آهـا مـن لظى
تبعتهـا مـن لظـاه ، ألـف آه

يـا نجي الروح ، أرجعت الهوى
أمـلا حلـوا .. ودنيـا .. وحياه

وبعينيـك أرى يـا ملهمي
بسمـة الدهـر وقـد طـاب رؤاه

يدك السمحاء ، قـد مرت على
قلبي الدامي فانستـه .. أساه

فـاذا الجـرح عطـور وشذا
واذا قلبـي ، عيـون ، وشفـاه

عـاد خفاقـا لحـب عـاطـر
صرت دنيـاه ، وقـد كنت رجاه

طرابلس ـ لبنان — غادة سلهب

وظل ابو الكلام ازاد يرأس حزب المؤتمر ، كما تولى وزارة المعارف المركزية لعموم الهند ، وظل فيها حتى أنتقل الى رحمة الله تبارك وتعالى في فبرايـر سنـة ١٩٥٨ م .

وجعل الدكتور النمر خاتمة رسالته عـدة ملاحق تشمل بحوثا لازاد ، وهي بحث عن المسلمين بين التقليد والاجتهاد ، وبحث عن ذي القرنين والسد ، وبحث عن الخلافة ، ومرافعته امام المحكمة حين محاكمته . ولقـد اعجبني كذلك أن يعنـى الباحث بتفصيل الكلام عـن صداقة أزاد مع السيد رشيـد رضا ، ولا غرابـة فـي اعجابي فقد شغلني رشيد رضا زمنا طويلا ومـا زال يشغلني بعد ان جعلت حياته وجهوده موضوعا لرسالتي في الدكتوراه ، ولقد اثبت الدكتور النمر مجموعة رسائل من ازاد الى رشيد ، وكنت قد عثرت على هذه الرسائل بخط ازاد ، وحينما علمت باشتغال الدكتـور بموضوع ازاد اعرته هذه الرسائل ، فأثبت صورتها وعلق عليها ، وقال في صفحة ٢٤٨ من اصل رسالته المخطوط : « قـدم لي هذه الرسائل مشكورا فضيلة الاخ الدكتور احمـد الشرباصي وقد عثر عليها وهو يبحث عن اوراق السيد رشيد ليكتب رسالته عنه » .

والرسالة تكشف عن المجهود الجليل الذي بذلـه الدكتور النمر في اعدادها ، وخصوصا اذا تذكرنا ما قاله في آخر الرسالة من أنه لم يصدر كتاب عربـي حتى الآن عن ابي الكلام ازاد ، لانـه مـن المعاصرين ، ولذلك بقي تاريخه موزعا بـين الصحف والنشرات ، ولا سيمـا الاوردية منها ، ولم يترجم الى العربية شيء ذو بال عن حياته ، اللهم الا بعض ما جاء في مذكرات ازاد التي كتبها في حياته عن الهند وجهادها لنيـل حريتها واستقلالها ، وقد جمع الباحث كل ما استطاع من معلومات عن ازاد ، ورجع الى عدد كبير مـن المراجع والمصادر ، وتظهـر ضخامة هذه المراجع من القائمة التـي اوردها صاحب الرسالة في آخرها ، وكذلك من تضاعيف الرسالة .

وبعد عرض ممتع ، ومناقشة دسمة طالت وامتدت ، قررت لجنة المناقشة بالاجماع منـح الدكتور عبد المنعم النمر درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الاولى ، وطبع الرسالة لتعم بها الفائدة .

تحية طيبة وتهنئة خالصة الى العالم الازهري الذي لم يمنعه تقدم السن ان يقرأ ويبحث ، ويحلل ويناقش ، ويكتب ويؤلف ، ونرجو ان يوفقه الله تعالى الى تحقيق ما وعد به في ختام رسالته من مواصلة التعريف بالزعماء المجهولين من رجال الهند ، الذي جمـع عنهم معلومات تستحق التقييد والنشر .

القاهرة — احمد الشرباصي



محمد العدناني

معجم الاخطاء الشائعة

بقلم محمد العدناني

***

نموذجات من حرف الواو

رجال ثقات

ويقولون : عندنا رجال ثقاة ، فياتون بكلمة (ثقاة) مجموعة جمع تكسير ، مثل : (قضاة) و (رعاة) ، جمع : (قاضي) و(راعي). والصواب ان تكتب بالتاء المبسوطة (ثقات) ، لان مفردها (ثقة) لا (ثاقي) .

واثق ببراءته

ويقولون : نحن واثقون ببراءته . والصواب : نحن موقنون ببراءته ، لان وثق (بكسر التاء) به ، تعني : ائتمنه .

وفعله : وثق به يثق ثقة (بكسر التاء في الكلمات الثلاث) ، وموثقا (بفتح فسكون فكسر) ، ووثاقة (بفتح الواو) ، ووثوقا (بضم الواو) .

لا يجب ان نكذب

ويقولون : لا يجب ان نكذب . وهذا يعني اننا يجوز ان نكذب . ولهذا علينا ان نقول : يجب ان لا نكذب (وهي جملة فيها قوة) . او : لا يجوز ان نكذب (وهي اقل قوة من الاولى) .

وجبة

ويطلقون على كل مرة ناكل فيها الطعام اسم : وجبة (بفتح فسكون) .

والصواب : أكلة (بفتح فسكون) ، لان الوجبة هي الاكلة الوحيدة في اليوم والليلة .

وقد اطلق المجمع الثاني المصري في نادي دار العلوم سنة ١٩١٠م . في الجدول رقم ١٠٣ كلمة الوجبة على الاكلة الواحدة في اليوم والليلة .

اما طعام الصباح فهو الصبوح (بفتح الصاد) ، وهو كل ما أكل ، او شرب من لبن او غيره صباحا . واسم طعام الصباح : غداء (بفتح الغين وبالدال) ، لاننا نتناوله غدوة ، أي : ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس .

ولا ارى ما يمنع الموافقة على رأي المولدين في تسمية أكلة الظهر غداء . اما من يشاء تحري الدقة والصواب ، فعليه ان يقول : طعام الظهر او اكلته .

اما طعام المساء فهو : العشاء (بفتح العين) او العشي (بكسر فسكون) ، لاننا نتناوله في العشي (بفتح فكسر فتضعيف) . والعشي اخر النهار . وقيل : من صلاة المغرب الى العتمة .

التواجد

قرأت على لوحة اعلانات احدى كليات الاداب الجملة الاتية :

« على الطلاب التواجد في اماكنهم في التاسعة صباحا » . فهالني ذلك ، لان الفعل (تواجد) معناه : اظهر وجده (بفتح فسكون) ، اي : حبه الشديد .

والصواب : على الطلاب ان يوجدوا في اماكنهم في التاسعة صباحا.

يوجد بيننا

ويقولون : يوجد بيننا كثيرون يجهلون هذا الامر . فالفعل (يوجد) هنا ، لا ضرورة لبقائه ، لان (بين) تدل على مطلق الوجود . ومثله قولهم : لم يكن موجودا في بيته . والصواب : لم يكن في بيته .

وقف تجاهه

ويقولون : وقف تجاهه (بضم التاء) ، اي : تلقاءه وما يواجهه . ولا خطأ في ذلك ، ويجوز ان نقول : تجاهه (بفتح التاء) وتجاهه (بكسر التاء) ايضا .

وبما ان تجاهه (بكسر التاء) صحيحة ، وبما ان العامة تستعملها دائما ، فانني اوثر ان لا نستعمل الا تجاهه (بكسر التاء) .

ان أصل (تجاه) هو (وجاه) بكسر الواو وضمها وفتحها . اما الزمخشري فقد اكتفى في الاساس بكسر الواو وضمها . واقتصر المصباح على ضم التاء والواو في (تجاه) و (وجاه) ، وضم الصحاح التاء والواو ، وكسرهما في الكلمتين كلتيهما .

اما (واو) وجاه ، فقد ابدلت (تاء) .

وحدوي

وينسبون الى (وحدة) قائلين : وحدوي . والصواب : وحدي (بفتح فسكون) ، لان كلمة (الوحدة) مفردة أصالة (أي : بغير نظر الى جمعها بالالف والتاء الزائدتين ، لداع معنوي ، كعدم وجود وحدات متعددة) . وتكون النسبة اليها بحذف تاء التانيث واضافة ياء النسب .

وديان

ويقولون : يحب الجبال والوديان (بكسر فسكون) . والصواب : والاودية (بفتح فسكون فكسر) ، والاوداية (بفتح فسكون) ، والاوداء (بفتح فسكون) ، والاوداة (بفتح فسكون : التاج والمحيط) ، والاوداه (اللسان وذيل اقرب الموارد) .

وقد تفرد صاحب التاج بان قال في مستدركه : وقد يجمع الوادي ايضا على (وديان) بضم الواو .

والاوداة او الاوداه : لغة طيء .

الوريث الوحيد

ويقولون : فلان هو الوريث الوحيد لعمه الثري . والصواب : هو الوارث الوحيد . وجمع وارث : وراث (بضم فتضعيف) وورثة (بفتح ففتح) .

وفعله : ورث يرث (بكسر الراء فيهما) ورثا (بكسر فسكون) ، ووراثة (بكسر الواو) ، واراثة (بكسر الهمزة) ورثة (بكسر الراء) وورثا (بفتح فسكون) ، وميراثا .

راجع الآية ٢٣٣ من سورة البقرة .

والآية ٨٥ من سورة الشعراء .

الايرادات والمصروفات

ويقولون : ايرادات الدولة ومصروفاتها . والصواب : دخل (بفتح فسكون) الدولة وخرجها ، أو : دخل الدولة ونفقاتها .

والايراد من سير الخيل : هو ما دون الجري (مجاز) .

والايراد : جعل الانسان يرد الماء ، او : احضاره الى مورد الماء .

وايراد الخبر : ذكره (مجاز) .

والشراب المصروف هو : الشراب الصرف ، أي : غير الممزوج .

تورف الظلال

ويقولون : تورف الظـلال في البساتين . أي : تتسع وتمتد .

والصواب : ترف (بفتح فكسر) الظلال في البساتين ، لان الفعل ورف (بفتح الراء) مثال (فعل ثلاثي أوله حرف علة) واوي ، مضارعة مكسور العين ، لذا تحذف واوه في المضارع للتخفيف .

وهذا يشمل كل فعل مثال واوي من باب ضرب (مفتوح العين في الماضي مكسورها في المضارع) ، وباب حسب (مكسور العين في الماضي والمضارع) ، مثل :

واد يئد من باب (ضرب) .

ووثق يثق من باب (حسب) .

وقد وجدت ان معظم الافعال الثلاثية ، التي اولها واو ، هي من باب (ضرب) .

أما الافعال من الابواب الاربعة الاخرى ، فان الواو فيها تظهر في المضارع ، مثل :

وجل (بكسر الجيم) يوجل (بفتح فسكون ففتح) ومعناه : خاف

وسخ (بكسر السين) يوسخ (بفتح فسكون ففتح) .

من باب علم (بكسر اللام) يعلم (بفتح اللام) .

وضع (بضم الضاد) يوضع (بفتح فسكون فضم) ومعناه : كان وضيعا خسيسا .

وشك (بضم الشين) الامر ، يوشك (بفتح فسكون فضم) ومعناه : سرع .

من باب كرم (بضم الراء) يكرم (بضم الراء) .

وقد شذت الافعال الآتية :

يضع ويهب ويقع ويدع (مفتوحة العين في الماضي والمضارع) ، ووطيء يطأ (مكسور العين في الماضي ، مفتوحها في المضارع) .

وهنالك افعال ثلاثية ، يكون واحدها من بابين مختلفين ، لـذا يختلف المضارع فيها ، فالفعل :

وضح الكلام يضح (بان وانجلى) هو من باب : ضرب يضرب .

والفعل وضح يوضح (اصيب بالوضح ، أي : البرص) هو من باب : علم يعلم .

والفعل وله يله (حزن ، او : تحير من شدة الحب) هو من باب : ضرب يضرب .

والفعل وله يله (حزن ، او : تحير من شدة الحب) هـو من باب : حسب يحسب .

والفعل وله يوله (حزن ، او : تحير من شدة الحب) هـو من باب : علم يعلم .

جاء في الآية ٦٢ من سورة الاحزاب قوله تعالى : « ولـن تجد لسنة (بكسر فضم فتضعيف فكسر) الله تبديلا » : الفعل (وجد يجد) من باب : ضرب يضرب .

وجاء في الآية ٥٣ من سورة الحجر قوله تعالى : « قالوا لا توجل (بفتح فسكون ففتح فسكون) ، انا نبشرك بغلام حليم » . (وجل يوجل) من باب : علم يعلم .

ظل وريف

ويقولون : ظل وريف (بفتح فكسر) . والصواب : ظل وارف . اما كلمة (وريف) فهي أحد مصدري الفعل : ورف (بفتح الراء) الظل يرف (بكسر الراء) ورفا (بفتح فسكون) ، ووريفا ، أي : اتسع .

وورف (بفتح الراء) النبت والشجر يرف (بكسر الراء) ورفا (بفتح فسكون) ورفا (بفتح ففتح) ، ووريفا ، ووروفا : تنعم واهتز ، ورأيت لخضرته بهجة من ربه ونعمته ، وهـو وارف ، أي : ناضر رفاف (بتضعيف الفاء الاولى) شديد الخضرة .

قال ابو منصور : وهما لغتـان ، رف يرف (بكسر الراء) ، وورف (بفتح الراء) يرف (بكسرها) ، وهـو الرفيف والوريف ، وورف الظل : اتسع .

وقال ابن الاعرابي : أورف الظل وورف (بفتح الراء) وورف (بتضعيف الدال وفتحها) : اذا طال وامتدت ، والظل وارف ، أي : واسع ممتد .

وركـه الايسر

ويقولون : كسر وركه الايسر . والصواب : كسرت وركـه (بكسر فسكون) اليسرى ، او وركه (بفتـح فكسر) ، او وركه (بفتـح فسكون) ، لان الورك مؤنثة . وجمعها : اوراك .

والورك : ما فوق الفخذ ، كالكتف فوق العضد .

الـوز

ويخطئون من يقول : وز (بفتح فتضعيف) بدلا من اوز (بكسر ففتح فتضعيف) . وكلا الجمعين صحيح ، وأنا أوثـر استعمال الجمـع (وز) ، لانه ينقص حرفا عن (اوز) ، ولان العامة تستعمله .

لا يوازي شيئـا

ويقولون : هذا لا يوازي شيئا . والصواب : لا يساوي شيئـا ، لان (وازى) معناه : حاذى وجارى وقابل . وربما ابدلت الواو همزة ، فقيل : آزاه .

مـوصـود

ويقولون : الباب موصود . والصواب : الباب موصد (بضم الميم وفتح الصاد) ، أي : مغلق ، لان فعله هو (اوصد) وليس (وصد) الذي يعني :

١ ـ وصد (بفتح الصاد) النساج يصد (بكسر الصاد) وصدا (بفتح فسكون) : نسج .

٢ ـ وصد النساج : أدخل بعض الخيوط في بعض .

٣ ـ وصد بالمكان : ثبت واقام ، فهو واصد .

محمد العدناني

ابن سلام يروي للمحدثين

بقلم جاسر ابو صفية

•

الذين كتبوا عن محمد بن سلام الجمحي وعن كتابه « طبقات الشعراء » وصفوه بأنه متعصب للقديم ، ولم يرو للمحدثين رغم معاصرته لبعضهم . ولا نريد هنا ان نستعرض اقوال النقاد الذين اطلقوا عليه هذا الوصف ، ويكفي ان نشير الى بعضهم .

فالدكتور محمد مندور في كتابه « النقد المنهجي عند العرب » يشير الى تعصب ابن سلام للقديم لاعتماده الزمان في تقسيم الشعراء الى طبقات ، وعند حدثه عن ابن قتيبة في « الشعر والشعراء » ومخالفته للمقلدين من انصار القديم (١) — يعني ابن سلام — .

والدكتور محمد زغلول سلام يصرح بتعصب ابن سلام للقديم بقوله : « ولم يعتبر المحدثين في طبقاته بالرغم من انه عاصر جماعة من مشهوريهم » (٢) .

واما استاذنا الدكتور محمود السمرة في كتابه « القاضي الجرجاني » فيقول : « اما ابن سلام فتعصبه للقديم واضح في كتابه ، فهو قد قسم الشعراء الفحول في طبقات ، دون ان يشير الى المحدثين مع انه عاصر بعضهم » (٣) .

والدكتور علي جواد الطاهر يقول: « وكنا نود — نود فقط — لو تعداهم (يقصد القدماء) فاتخذ لابناء عصره من شعراء القرن العباسي الاول مقعدا ، ولكن للرجل عقليته ولعمله مسوغاته ، ولكتابه ظروفه » (٤) .

هذه التهمة التي علقت بابن سلام ، وما زالت ، انطلقت من دراسة النقاد لكتاب ابن سلام وحده ، ودون الرجوع الى بقية الكتب التي روت روايات عن ابن سلام لم تثبت في « الطبقات » ، وهذا الكتاب الذي الفه ابن سلام لم يجزم للآن بأنه كتاب واحد بمقدمة واحدة ، وذلك لما حدث في هذه المقدمة من اضطراب ، واختلاف مقدمة طبعة دار المعارف عن مقدمة طبعة مطبعة السعادة.

ورغم هذا الخلاف فانه من الجور ، والبعد عن المنهج العلمي ان نصدر حكما على ناقد كابن سلام من خلال عمل واحد له ، دون ان نستقرىء الكتب القديمة بحثا عن روايات تشير الى مؤلفات ابن سلام ، او روايات عن المحدثين . وهذا ما وجدت بعضه في « الاغاني » (٥) .

وقبل ان ننطلق لاستقراء الكتب ، نود ان نشير الى قضية مهمة في النقد لها صلة كبيرة بموضوع حديثنا ، تلك هي قضية الصراع بين القديم والمحدث ، وموقف النقاد والدارسين من هذه القضية ، فنراهم يقفون موقفين متعارضين : فريق يناصر القديم ويقدسه لقدمه، وفريق يطالب بالقاء الضوء على هذا القديم لغربلته . ولسنا هنا بصدد بحث هذه القضية واستعراض الموقفين ، وانما نحن بصدد ابن سلام ومحاولة اثبات روايته للمحدثين ، ونفي التهمة بالتعصب للقديم عنه .

وابن سلام من النوع الثاني من النقاد الذين نظروا الى القديم نظرة علمية خالصة ، وطالب بالقاء الضوء على هذا القديم ليستخلص منه الجيد وينبذ الرديء ، واتضح ذلك جليا في نظريته « النحل » التي شك فيها في كثير من الشعر ، وساق الادلة النقلية والعقلية على ذلك الزيف . وكانت ابرز نظرية في كتابه . وحظيت بدراسة مستفيضة من الدارسين المحدثين .

ولو تساءلنا : هل من العدل ان نطلق على رجل يريد تطبيق المنهج العلمي على القديم ويشك فيه ، هذا الوصف الذي دفعه طوال هذه السنين ؟ لا اظن انه يستحق مثل هذا اللقب ، فلو كان متعصبا للقديم ، فهو سيتقبل القديم بما فيه من حسنات وسيئات دون محاولة منه لنظر فيه او شك .

ولعل الذين وصفوه بهذا الوصف من الدارسين المحدثين اعتمدوا في حكمهم على تقسيم ابن سلام الشعراء الى طبقات باعتبار الزمن في الدرجة الاولى ، وقسمهم الى جاهليين واسلاميين ومخضرمين . ولكن ابن سلام يرد عليهم بالغائه عنصر الزمن فيقول : « فاقتصرنا من الفحول المشهورين على اربعين شاعرا ، فالفنا من تشابه شعره منهم الى نظرائه ، فوجدناهم عشر طبقات » (٦) .

فهو اذن قد الغى المخضرمين وطبقاتهم ، فنراه في الكتاب يتحدث في الطبقة الواحدة عن شاعر جاهلي الى جانب مخضرم ، او عن اسلامي الى جانب مخضرم دون مراعاة للزمن .

بعد هذا سننطلق لاستقراء الكتب ، ثم نحكم عليه بالتعصب القديم او ببراءته . فتتبعناه في « الاغاني » ورأيناه يروي لشعراء محدثين عاصروه وانشدوه شعرهم. اما لماذا لم يرد ذلك في الطبقات ؟ فذلك مرده — في الغالب — الى ضياع كثير من اوراق الطبقات ، ومن مؤلفات ابن سلام ، والا فكيف يسقط شاعر مثل عمر ابن ابي ربيعة ، مع ان ابن سلام روى له في غير الطبقات (٧) ، ويعتبره النقاد ممن يحتج بشعرهم ؟ ويبقى السؤال معلقا حتى تكتشف مؤلفات ابن سلام الاخرى ، او تظهر حقيقة « الطبقات » .

ونبدا ببشار بن برد — استاذ المحدثين — على رأي صاحب الوشح .

يروي صاحب الاغاني رواية عن محمد بن سلام في تفسير « المرعث » قال : « بشار المرعث هو بشار بن

برد ، وانما سمي المرعث » لقوله : (٨)

قال ريم مرعث ساحر الطرف والنظر
لست والله نائلي قلت : أو يغلب القدر
أنت ان رمت وصلنا فانج ، هل تدرك القمر

ثم يورد ابن سلام رواية اخرى في تفسير (المرعث) (٩) . وهي طريقة ابن سلام في طبقاته وان اختلف الراوية .

وفي « الاغاني » روايات أخرى برواية ابن سلام عن بشار منها : مفاخرة جرير وبشار (١٠) . وهجاء بشار لهلال بن عطية (١١) . وهجاء بشار لرجل سبه عند الامير محمد بن سليمان (١٢) ، وهي رواية طويلة لا يستحسن ايرادها لما فيها من الفاظ بذيئة . ورواية اخرى تحتوي على الفاظ نابية في هجاء رجل شريف من بني زيد (١٣) .

وعن محمد بن سلام قال : قال يونس النحوي : « العجب من الازد ، يدعون هذا العبد ينسب بنسائهم ويهجو رجالهم ! ــ يعني بشارا ــ ويقول :

« الا يا صنم الازد الذي يدعونه ربا
الا يبعثون اليه من يفتق بطنه ؟ » (١٤) .

ويونس هذا من اهم الرواة الذين اخذ عنهم ابن سلام في الطبقات .

ونجد ابن سلام يروي خبرا عن نسب ابي العتاهية ، وهو خبر مجرد من الشعر ، يقول : « وكان محمد بن ابي العتاهية يذكر ان اصلهم من عنزة ، وان جدهم كيسان كان من أهل عين التمر ... الخ الرواية » . (١٥)

ويوغل ابن سلام في العصر العباسي ليروي قصة عن مروان بن ابي حفصة المعاصر للمهدي الخليفة ، والرواية يستقيها ابن سلام عن الاصمعي يقول : « جاء مروان بن أبي حفصة الى حلقة يونس فسلم ثم قال : ايكم يونس ؟ فأومأنا اليه ، فقال له : أصلحك الله ، اني ارى قوما يقولون الشعر ، لان يكشف احدهم سوءته ثم يمشي كذلك في الطريق احسن له من ان يظهر مثل ذلك الشعر ، وقد قلت شعرا اعرضه عليك ، فان كان جيدا اظهرته ، وان كان رديئا سترته ، فأنشده قوله :

طرقتك زائرة فحي خيالها بيضاء تخلط بالجمال دلالها
قادت فؤادك فاستقاد ومثلها قاد القلوب الى الصبا فامالها

فقال له : يونس : يا هذا اذهب فاظهر هذا الشعر ، فانت والله أشعر من الاعشى في قوله :

« رحلت سمية غدوة اجمالها »

فقال له مروان : سررتني وسؤتني ، فأما الذي سرني فارتضاؤك الشعر ، واما الذي ساءني فتقديمك اياي على الاعشى ، وانت تعرف محله . فقال له : انما قدمتك عليه في تلك القصيدة لا في الشعر كله ، لانه قال فيها :

« فأصاب حبة قلبها وطحالها »

والطحال لا يدخل في شيء الا افسده ، وقصيدتك سليمة من هذا وشبهه » (١٦) .

وسنعرض عما في النص من نظرات نقدية كانت سائدة آنذاك ، لاننا في مجال استعراض شعراء محدثين روى لهم ابن سلام ، فالرواية هنا عن الاصمعي ، المصدر الثقة عند ابن سلام ، وهي عن شعر مروان بن أبي حفصة الشاعر العباسي المحدث الذي ترجم له ابن المعتز في طبقاته .

وعن مروان بن أبي حفصة هذا يثبت المرزباني رواية عن ابن سلام عن أبيه ، تتعلق برأي مروان في شعر جرير والفرزدق وكثير عزة (١٧) .

وهذا زند بن الجون (ابو دلامة) المعاصر للمهدي كذلك ، يروي عنه ابن سلام رواية عن علي بن اسماعيل يجمع فيها أبا دلامة والسيد الحميري ، وهما من شعراء بني العباس ، يقول علي بن اسماعيل : « كنت أسقي أبا دلامة والسيد الحميري ، اذ خرجت بنت لابي دلامة ، فقال فيها أبو دلامة : (١٨)

فما ولدتك مريم أم عيسى ولا ربــاك لقمان الحكيم

وقال : أجز يا أبا هاشم ، فقال السيد :

ولكن قد تضمك أم سوء الى لباتها ، وأب لئيم

ولم يقف ابن سلام عند الرواية عن رواة ثقات كالاصمعي ويونس ، بل يتعدى ذلك الى الاخذ مشافهة عمن عاصره من الشعراء المحدثين ، فيروي لهم شعرهم واخبارهم ، من ذلك ما اورده صاحب « الاغاني » في اخبار الشاعر البصري الظريف الحكم بن قنبر المازني ، وابن قنبر هذا كان مهاجيا لمسلم بن الوليد الانصاري (صريع الغواني) . ولمسلم قصائد يهجو فيها ابن قنبر مثبتة في ديوانه (١٩) . ومسلم من كبار المحدثين .

قال ابن سلام : انشدني ابن قنبر لنفسه : (٢٠)

ويلي على من أطار النوم وامتنعا وزاد قلبي على اوجاعه وجعا

---

(١) ص ١٢ ، ٢٢ ، (٢) تاريخ النقد العربي ١ ــ ٦٣ ، (٣) ص ١٢٣ ، (٤) مجلة الاديب جزء ٥ سنة ٢٦ــ مايو ١٩٦٧م ص ٥ حاشية ، (٥) اشارة الى طبقات الفرسان ، واشارة الى مؤلف لابن سلام عن الغناء والمغنين ، (٦) الطبقات ص ٢٢ ، (٧) الاغاني ــ مصورة عن دار الكتب ، ١ ــ ٧١ ــ ٧٢ ، ١٠٨ ، ١٦٦ الموشح المرزباني ص ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٣٢٨ ، (٨) اغاني ٣ ــ ١٤٠ مصورة عن طبعة دار الكتب (٩) اغاني ٣ ــ ١٤٠ ، (١٠) اغاني ٣ ــ ١٥٣ ، (١١) اغاني ٣ ــ ١٦٨ ، (١٢) اغاني ٣ ــ ١٩١ ، (١٣) اغاني ٣ ــ ٢٠٣ ، (١٤) اغاني ٣ ــ ٢١١ ، (١٥) الاغاني ــ اخبار ابي العتاهية ٤ ــ ٣ ، (١٦) اغاني ١٠ ــ ٨٢ ، (١٧) الموشح ص ٢٢٨ ــ طبعة دار نهضة مصر تحقيق علي البجاوي ، (١٨) اغاني ١٠ ــ ٢٣٩ ، (١٩) ديوان صريع الغواني ــ تحقيق د. سامي الدهان (ص ١٣٩ ، ٣٠٩ ، ٣٢٢ ، ٣٤٣ وغيرها) ، (٢٠) اغاني ١٤ ــ ١٦٤ ، (٢١) اغاني ١٤ ــ ١٦٥ ، (٢٢) اغاني ١٤ ــ ١٦٥ ، (٢٣) اغاني ١٤ ــ ١٦٨ ، (٢٤) اغاني ١٥ ــ ٢٩ ، (٢٥) اغاني ١٦ ــ ٣٠٧ .

ملحوظة : اعتمدنا الطبعة المصورة عن طبعة دار الكتب لكتاب « الاغاني » وطبعة دار نهضة مصر ــ تحقيق علي البجاوي لكتاب « الموشح » .

حيرة

غادرة يا دنيا غادرة
بالناس ماذا تفعلين ..
سراب من حلو الحياة ما تقدمين ..
ثم تسقينهم كأس العذاب
أياما وسنين ..
الى أي مصير تقودينهم
وبهم ماذا تريدين ..
تكلمي .. تكلمي
ولكنك للاسف لا تسمعين ..
لا تأبين بصراخ الضعاف
برحمتك يستنجدون ..
وكأنك لا تسمعين ..
وانت يا نفسي المعذبة ، ماذا تريدين ؟
أتأملين في العيش السعيد ؟
أتبغين من العذاب المزيد ؟
ماذا تخفين وراء ضحكاتك من سر دفين ؟
يا لنفسي الضائعة
تبحث عن ذاتها منذ سنين ..
ولكن هل يمكن حقا
تحقيق الذي به تحلمين ؟
مهلا نفسي .. مهلا ..
ولوذي بالصبر ولو الى حين ..

القاهرة — مها امين

ظبي اغر ترى في وجهه سرجا — تعشى العيون اذا ما نوره سطعا
كانما الشمس في اثوابه بزغت — حسنا ، او البدر في اردانه طلعا
فقد نسيت الكرى من طول ماعطلت — منه الجفون، وطارت مهجتي قطعا

وقال ابن سلام : ثم قال ابن قنبر : « لقيتني جوار من جواري سليمان بن علي في الطريق الذي بين المربد وقصر أوس ، فقلن لي : أنت الذي تقول :

« ويلي على من أطار النوم وامتنعا » ؟

فقلت : نعم . فقلن : أمع هذا الوجه السمج تقول هذا ؟ ثم جعلن يجذبنني ويلهون بي حتى اخرجنني من ثيابي ، فرجعت عاريا الى منزلي . قال ابن سلام وكان حسن اللباس » (٢١) .

وقال ابن سلام : أنشدني ابن قنبر لنفسه : (٢٢)

صرمتني ثم لا كلمتني أبدا — ان كنت خنتك في حال من الحال
ولا اجترمت الذي فيه خيانتكم — ولا جرت خطرة منه على بالي

قال ابن سلام : « فقلت له وانا اضحك : يا هذا لقد بالغت في اليمين . فقال : هي عندي كذاك ، وان لم تكن عندك كما هي عندي » .

ثم يروي لنا ابن سلام بعد ذلك رواية عن مرض ابن قنبر وموته ، فيقول : « مرض ابن قنبر فأتوه بخصيب الطبيب يعالجه فقال فيه :

ولقد قلت لاهلي — اذ أتوني بخصيب
ليس والله خصيب — للذي بي بطبيب
انما يعرف دائي — من به مثل الذي بي

قال : وكان خصيب عالما بمرضه ، فنظر الى مائه فقال : زعم جالينوس ان صاحب هذه العلة اذا صار ماؤه هكذا لم يعش . فقيل له : ان جالينوس ربما أخطأ، فقال : ما كنت الى خطئه احوج مني اليه في هذا الوقت. قال ومات من علته » (٢٣) .

ونقرأ الابيات التالية لشاعر معاصر لابي جعفر المنصور هو عبد الله بن مصعب ابن ثابت بن عبد الله بن الزبير يخاطب فيها أبا جعفر ، ويدعوه لسماع مغنية . وهذه الرواية تدخل ضمن ما ألفه ابن سلام عن المغنين والغناء ، وانما اوردناها لورود اسم الشاعر المحدث فيها .

يقول عبد الله بن مصعب مخاطبا المنصور بعد رجوعه من الحج ومروره بالمدينة : (٢٤)

أراحل أنت أبا جعفر — من قبل ان تسمع من بصبصا
هيهات ان تسمع منها اذا — جاوزت العيس بك الاعوصا
فخذ عليها مجلسي لذة — ومجلسا من قبل ان تشخصا
احلف بالله يمينا ومن — يحلف بالله فقد أخلصا
لو أنها تدعو الى بيعة — بايعتها ثم شققت العصا

« فبلغت الأبيات أبا جعفر ، فغضب فدعا به ، فقال : أما انكم يا آل الزبير قديما ما قادتكم الا النساء ، وشققتم معهن العصا ، حتى صرت انت آخر الحمقى تبايع المغنيات ، فدونكم يا آل الزبير هذا المرتع الوخيم».

ونحن نقلنا هذه الرواية على علاتها بما قد يكون فيها من زيف وتجريح ، لاننا ـ كما قلت ـ لا نناقش مضمون النص ، او نعلق عليه ، وانما هي رواية من روايات ابن سلام .

واخيرا نرى ابن سلام يروي لشاعر عاش في الدولتين : الاموية والعباسية ، وهو أبو حية النميري المشهور بالجبن وادعاء الشجاعة . (٢٥)

بعد هذا الاستعراض لما ورد في « الاغاني » و « الموشح » من روايات ابن سلام عن الشعراء المحدثين، نقول : هل يبقى لدينا ولدى الدارسين شك في ان ابن سلام برواياته هذه ينفي التهمة عن نفسه ، ويرد على الذين وصفوه بالتعصب للقديم ظلما ؟ أم تبقى التهمة لاصقة به حتى يبعث فيكتب لنا كتابا عن طبقات الشعراء المحدثين ؟.

الزرقاء ـ الاردن — جاسر أبو صفية

كانت المحادثة التي تجري بين صاحب مكتب الوساطة لتسيير المعاملات العقارية ، واحد الزبائن ، تبلغ مسامع هلال ، من خلال فرجة باب الغرفة ، وكان هلال ، يصغي الى ذلك الحوار الذي يدور داخل الغرفة ووجهه منقبض .

سمع معلمه يقول للزبون :

ـ ارجوك يا حاج زاهد، لنصرف النظر عن الحديث بموضوعه ..

ورد الزبون :

ـ هل اعلم من ذلك انك مصمم على تسريحه يا ابا نعيم وهو أب لخمسة اولاد .

اجاب ابو نعيم :

ـ انت ترى انني مضطر الى ذلك ، يا حاج زاهد ، اذ لم يعد بوسعي ابقاءه في هذا المكتب ، فالظروف تغيرت ، ولم يعد هناك اعمال تحتاج الى وجود مساعد ...

ـ انت بذلك تذكرني بامرأة اوصتني ان اتدبر امر رهن عقارها على ستة آلاف ليرة سورية هل من مرتهن لديك ؟..

ـ حبذا !! لقد مضى شهر ونحن قاعدون ، لا زبون ، ولا حتى هاتف من احد .

عرف هلال ، اثر سماعه هذه المحادثة ، ان معلمه مصر على تسريحه ، وتصور ان معلمه هذا يتحين فرصة ما ، او ينتظر وقوع هفوة منه ، ليصارحه برغبة صرفه من العمل . لهذا دنا من المشجب وتناول معطفه ولفعته الصوفية وازمع مغادرة المكتب ، دون كلمة وداع ، وكانت الدموع قد اخذت تترقرق في عينيه ، فهو يغادر هذا المكتب ، بعد ان امضى فيه عشرين سنة يستقبل الزبائن ، ويقرب وجهات النظر ويهيىء المعاملات ، ويحسب الرسوم ويدفع الايصالات دون ان يثقل على معلمه عبء المراجعة وغلظة المراجعين .

تذكر هلال ، وهو يزمع مغادرة هذا المكتب ، انه عاش فيه حقبة من الزمن ، عيشا هنيئا ، وتمكن بفضل ما ادخر من ارباح ان يتزوج وينجب ، وهو من اجل المحافظة على سمعة المكتب وحسن سير العمل فيه لم يستعمل الا اجازة صيفية واحدة منذ عشر سنوات ، سافر خلالها الى دريكيش ، وتنقل بين احضان الجبال ، ثم عاد الى هذا المكتب الذي يغادره الآن في ظروف صعبة ، دون ان يقول لصاحبه اية كلمة وداع ...

رن الجرس ، فلم يكترث هلال لامره ، انه لاول مرة لا يلبي نداء معلمه .. ولكن الجرس تواصل .. وعند ذلك لوى هلال راسه ، ثم دخل الغرفة وهو منطو على نفسه .

حدجه المدير بنظرة استغراب ، ثم سأله :



بقلم عبد الرحمن البيك

ـ ماذا تريد ان تفعل يا هلال ، ارى وكأنك مزمع مغادرة المكتب ..

اجاب هلال ، بصوت خافت :

ـ لا ... ولكنني مريض ... وربما استأذنتك في ان اذهب الى البيت لاغطس رجلي بالماء الساخن .

تأوه الحاج زاهد الذي ركز انظاره على هلال ، متألما للمصير الذي ينتظره ، وكذلك فقد استحوذت على صاحب المكتب ، عاطفة الشفقة ، فلم يجد الجراة الكافية لابلاغ هلال الامر الذي عزم عليه ، فقال له :



ـ لقد دعوتك من اجل تحضير فنجاني قهوة ...

اجابه هلال ، دون مراعاة لاصول اللباقة :

ـ ولكن انت تعلم انه ليس عندنا قهوة منذ عشرة ايام .

وضرب صاحب المكتب قبضته على الطاولة وهو يقول في غضب :

ـ هلال ... كيف تقول هذا .. الا تستحي ، هل من الادب ان تبوح بفقدان القهوة امام الزبائن ... انت مسؤول عن ذلك ، ثم انك توانيت عن هذه المدفأة وقد كان في مقدورك اصلاحها بنفسك ... انت اصبحت عبئا لا يحتمل ...

واستدار صاحب المكتب نحو الحاج زاهد وهو يخاطبه :

ـ الم اقل لك انه اصبح عديم الجدوى ... الا ترى معي ان توانيه عن اعداد المدفأة يوجب تسريحه .

قال هلال :

ـ ما علاقة رغبتك في تسريحي بتصليح المدفأة ، انت تعلم ان تصليحها امر لا استطيعه ، ثم انه لا يدخل ضمن اختصاص عملي .

ـ ما هذا الامر الخارق الذي لا تستطيعه ... هل يعجزك امر فحص المدخنة ، او حك قعر الوجاق ...

وتدخل الحاج زاهد ، مقاطعا صاحب المكتب :

ـ الامر لا يحتاج الى مثل هذه الانفعالات .. انني سامضي الآن وارجو ان تجدا حلولا مناسبة لسوء التفاهم المستحكم بينكما ...

وامسك الحاج زاهد عن الكلام ، ثم عاد وسأل صاحب المكتب :

ـ وبعد ... هل تفضل ان آتيك بحبل أم برجل ...

فقال له صاحب المكتب :

ـ ايهما انفع ، الحبل ام الرجل ؟...

— الحبل طبعا ، فهو يساعدك في فحص المدخنة دون اية كلفة .. يكفي ان تدلي الحبل المثقل بيد هاون في المدخنة حتى تزول تكتلات هباب المازوت وهذه عملية سهلة .

— اذن اوصلني بحبل ارجوك..

غادر الحاج زاهد المكتب ، ووجد هلال نفسه وجها لوجه مع معلمه الذي يريد صرفه من الخدمة .

وبعد فترة من الوجوم الثقيل ، سأل هلال معلمه :

— هل تريد شيئا آخر ...

— وماذا طلبت منك امرا حتى تسألني المزيد ؟..

— هل انصرف اذن ...

تردد صاحب المكتب ، ثم اطرق ... وقال بعد تفكير عميق :

— كلا ... انني في واقع الامر لا اريدك ان تنصرف ... ولكن قل لي ، اذا ما انصرفت ماذا بوسعك ان تعمل او بعبارة اخرى كيف ستعيش ..

— الله يرزقني ... لذلك لا استطيع ابلاغك كيف ساعيش ..

— هلال ، انا احبك وانت تعرف ذلك ، ولكن الظروف قاسية .

اتجه هلال صوب المدفأة ثم القى فيها عود ثقاب ، بينما اردف معلمه قائلا :

— ماذا تفعل يا هلال ؟..

— سأحاول اشعال المدفأة .

— ولكن انت تعلم ان ذلك مستحيل ... الم تحاول قبل هذه المرة .

— لنجرب مرة اخرى ..

— هذه تجربة غير مفيدة ، فكم من مرة سألتك ان تلقي في المدخنة شيئا ثقيلا او تدلي حبلا كما اقترح الحاج زاهد ...

— انك تعلم انني في السنة الماضية احضرت حبل غسيل بيتي وادليت بيد هاون فانفتحت المدخنة، وظهر في داخلها عش فيه عصفور محروق .

— تريد ان تقول بانك لن تتبرع بحبل الغسيل مرة اخرى ..

اشتعلت المدفأة بصعوبة ، حتى ظن ابو نعيم بانها تريد مسايرة الظروف القاسية التي يمر بها المكتب ، وهي على وشك ان تعمل، الا ان اشتعالها لم يكن سويا ، فاللهب يتجمع فيها ولا يجد لنفسه مسرى .

جلس الاثنان صامتين ، صاحب المكتب لا يقطع بامر صرف هلال من الخدمة ، وهلال لا يريد ان يغادر المكتب ، انما التصدع واقع ، في كل الحالات بينهما ، وليس هناك من يحاول رأبه ...

قال صاحب المكتب :

— الحقيقة انك تلبدت يا هلال.. وقلت حركتك ، في الماضي كنت تبذل المساعي هنا وهناك ، وتحيي القضايا الميتة ، وتفتح امام المكتب موارد كثيرة للرزق ، اما الآن فانت عاجز حتى عن الكلام .



عبد الرحمن البيك

●

— يا معلمي ، الظروف كانت آنذاك ملائمة ... هل تريد مني الآن ان اطوف على الحوانيت والدور ، واسأل اصحابها ، هل من مرتهن ، هل من بائع .. هل من يقرض بالفائدة ...

قال المعلم مسلما ...

— صحيح ما تقوله يا هلال ، الظروف كانت وقتئذ ملائمة ، من اجل هذا لم يقع بيننا ما هو واقع الآن ، ومع ذلك فما علينا الآن الا ان نصرف عن اذهاننا الافكار السوداء ، سوف نبقى هنا سوية نترقب ، فعسى ان تتغير الاحوال وتتدفق علينا الارزاق ونضيق بالاعمال مرة اخرى .

تبسم هلال ... ثم نزع معطفه وغاب قليلا ثم حضر وبيده كأس من الماء ، طرح ما فيه على المدفأة المتعثرة ، فانطفأ لهيبها المكظوم بعد ان انبثقت عنها الابخرة .. وسأل المعلم :

— ماذا دهاك يا هلال ... ماذا تفعل ، هل جننت ؟.

وفيما كان هلال يترقب نتائج عمله اشتعلت المدفأة من تلقاء نفسها بعد ان احدثت انفجارا جعل صاحب المكتب يقفز عن الارض لشدة الرعشة التي اصابته ، في حين اكتظ جو الغرفة بادخنة المازوت ذات الرائحة الحادة ... واذ ذاك صدر عن المدفأة دوي اللهب الذي سرى في المجاوى بصورة طبيعية ..

عاد صاحب المكتب يتساءل ...

— ماذا جرى ... لماذا فعلت ذلك يا هلال ؟..

قال هلال :

— هذه طريقة، رخيصة يا معلمي من اجل تنظيف المدافيء ... الانفجار الذي حدث ازال الهباب العالق في مسامات الوجاق ، وكذلك وقع تأثير هذا الانفجار على المدخنة التي زال منها كل ما هو عالق بها .

سر صاحب المكتب من هلال ، وانشأ يصفق ، ثم اقبل نحوه وجعل يقبله وهو يقول :

— لن افكر بعد الآن بتسريحك.. اننا سنعيش معا هذه الضائقة مثلما عشنا سوية تلك الايام الهانئة ، انصرف الى شانك يا هلال وترقب دخول الزبائن ... اننا في كل الحالات نعيش ...

حلب **عبد الرحمن البيك**

مبهورة الاحداق

عدنان محمد الدرويش

•

بيروت ... :
مدينتي التي عشقت فيك روعة الطموح
عشقت قصة الخلود والحياة والعلاء
.. اعانق الفناء والضجر
كلما تعرت المدينة الجميلة
والثم النهاية المشؤومة الغبية
وارقب البلاء والكدر :
اضيع في زحمة الناس في الشوارع
واشرب الضجيج والصخب
والعق الاضواء والدخان والصور .
.. مجنونة الآفاق ،
مبهورة الاحداق :
كأنما قد خانها النظر :
بيروت . ،
مدينتي التي عزمت ان الجم الضياع في المباني
ان ازرع الازهار التي سقيتها الاغاني
واجمع الاضواء في افقها محطة
وجدت كل شارع محطتي
وكل حي ومنزل وافق ..
لانها الاحداق مبهورة النظر
والموت والفراغ والضجر
يعانق الصباح والمساء والبشر

•

... وامسي الذي شيدت بالاماني
وافقي المنشود بالاماني
تلاشت الاضواء في زحمة الثواني
وضاعت الاحلام والصور ..
اصبحت في موجة الحياة والضياع والبشر
اهيم ليس لي افق ..
بيروت يا مدينتي
بالامس واليوم ، من يدري ، والغد
معانقي الفناء في شوارعك
مقبلي في القصور والبيوت والمباني
وحانة الوجود والضجر
اصبحت ملء الضياع والضياع والكدر
امست محطتي في معارض القدر ...

الفن في المسرح التاريخي

بقلم عدنان بن ذريل

* * *

الشاعر المسرحي الكبير عدنان مردم بك شاعر سلفي محافظ على عمود الشعر وديباجته ، يطبعهما اليوم بنجاح كبير للشعر المسرحي ومتطلباته التقنية والفنية جميعا .. وذلك لانه في الاساس مجدد في سلفيته مبدع في فنه ، يعطي من اصالته وروحه ما هو بالفعل محل التقدير ، لانه قيمة فنية في ذاتها ، ملؤها الحياة ، والرونق ..

ويمكننا حقا ان نعتبر المسرح الشعري عند عدنان مردم بك حلقة جديدة في تجربة المدرسة السلفية في الشعر المسرحي العربي ، وهي المدرسة التي أسسها خالد الذكر احمد شوقي امير الشعراء ، كما يعتبر عزيز أباظة ركنا فيها أصيلا .. ومع ذلك فأن النتاج المسرحي يطور يوما أثر يوم في فنية هذه المدرسة ومفاهيمها ..

كان ابرز ما يميز المسرحية الشعرية عند امير الشعراء احمد شوقي موضوعها التاريخي الذي كان يحافظ على تاريخيته يعرضها ويفندها ، بل ان امير الشعراء احمد شوقي كان يحرص على تقصي ملابسات موضوعه التاريخي وظروفه ولونياته المحلية يثبتها ويصور بواسطتها العصر والمجتمع اللذين حصلت فيهما ، عسى ان يساعد ذلك على فهم نفسيات الابطال او صراعاتها المختلفة ، كما نجد ذلك في : مجنون ليلى ، وعنترة ، ومصرع كليوباترة ، وعلي بك الكبير وغيرها ..

ولكن الموضوع التاريخي تزاحمه اليوم في مسرح عدنان مردم بك ذهنية الفكرة التي لهذا الموضوع ، بحيث ان الدارس لهذا المسرح يجد ان مؤلفه لا يصرف عنايته الى تصوير العصر ، او المجتمع ، بقدر ما يصرفها الى فكرة موضوعه بالذات ، او الى موضوعه كفكرة يعرضها ويدلل عليها ويفندها ...

بعبارة اخرى المسرح الشعري مع عدنان مردم بك صار الى مفهوم فكرة انسانية تفند من خلال الموضوع المسرحي ككل ، بحيث تكون القصة ، او لنقل الحادثة في المسرح وسيلة الى الفكرة ، او اطارا لها ، وفي ذلك نقلة الذهنية الصريحة التي لهذا المسرح الشعري ، والتي تركت وراءها مسحة اللونيات التاريخية والمحلية ، لتعتني على العكس بالصراع النفسي والذهني نفسه ..

وان الحالتين البارزتين اللتين لمسرحية : ـ غادة افاميا ـ ١٩٦٧ وهي في موضوعها مفتكرة ، متخيلة كلها ، او مسرحية : ـ رابعة العدوية ـ ١٩٧١ وموضوعها عتق رابعة في صباها الاول ، اي فترة قصيرة من سيرة هذه الشخصية الانسانية الرائدة .. حالتان فريدتان في هذه الفنية المسرحية التي هي في الاساس فنية الذهنية الانسانية التي تطيع لها الموضوع ، والعمل المسرحي جميعا ، من أجل عرض فكرة او تفنيدها او التدليل عليها ..

هناك حقا مسرحيات اخرى لعدنان مردم بك يسير الجانب التاريخي السردي فيها جنبا الى جنب مع التحليلات والتفنيدات الذهنية والنفسية مثل : ـ العباسة ـ ١٩٦٨ ، و ـ الملكة زنوبيا ـ ١٩٦٩ و ـ الحلاج ـ ١٩٧٠ .. ولكن الفن ظاهر في هذه المسرحيات ، وعلى الخصوص في ذهنيتها الانسانية ، والتي تصطنع لها تفسيرا واحدا للاحداث ، بل لنقل تصطنع موضوعا واحدا لعملها المسرحي تعرضه وتفنده ، يكون في مجموعه بمثابة وجهة نظر المؤلف واجتهاده ..

فمثلا مسرحية « العباسة » أدب سياسي مئة بالمئة ، هي من الفها الى يائها تدور حول الصراع السياسي بين الرشيد والبرامكة ، والذي يصوره المؤلف من خلال الشخصيات ، ومواقفها منه ، بما فيها العباسة اخت الرشيد ، والتي يجعلها المؤلف في صف زوجها جعفر ، وكذلك الحال في « الملكة زنوبيا » ، فهي تمزج الجانب السياسي والاجتماعي بذهنية الفداء ، والذي يبرر المؤلف بواسطته سلوك زنوبيا ، اذ يجعلها المؤلف تسلم نفسها للاسر لتفتدي شعبها ، وتقيه عوادي الكوارث ، علاوة على ان « الحلاج » أدب سياسي في الاساس ، تصور جرائر السياسة على روادها ، وهكذا دواليك ...

والشاعر عدنان مردم بك يعترف صراحة بهذه الذهنية في مسرحه ، واثرها في فنه ، وموضوعاته على السواء ، يقول في مقدمة « غادة افاميا » وهي اولى مسرحياته :

« ان الذي دفعني اليوم لاختيار طبع مسرحية غادة بالذات دون غيرها من مسرحياتي كونها تدور حول فكرة قومية وانسانيا معا » .. ثم يقول في موضوع مصدرها التاريخي :

« تشير المصادر الاغريقية ان افاميا خضعت للحكم اليوناني ، غير ان اساطير قليلة تذكر انها خضعت للرومان ، وقد اخذت بهذا الزعم لما عرف عن الرومانيين من قسوة ، وحب للفتوح ، وتمجيد للواجب » .

ويقول في مقدمة الحلاج :

« حاولت في مسرحيتي هذه ان انصف الحلاج فيما له وما عليه دون تحيز ، وبينت ان سبب قتل الحلاج يرجع الى اسباب سياسية بحتة ، فقد كان ثائرا على نظم مجتمعه ، وكان على اتصال بالقرامطة ..

ثم يقول « .. انشد في مسرحيتي هذه ، الحقيقة التي ينشدها كل منصف ، كما اتوخى الجمال الفني في الكشف عن أدق المشاعر النفسية والانسانية » ..

ويقول في مقدمة رابعة العدوية :

« اخترت حقبة من حياتها ، مادة لمسرحيتي ، هي الفترة الاولى من شبابها ، حين كانت رقيقا ، لابين مأساة حياة الرق ، تلك المأساة البشعة التي لم يخل من عارها عصر » .

ثم يقول : « .. احببت أن اقدم للناس شيئا من أريج روحانية رابعة ، وكم نحن اليوم بحاجة الى مثل هذا الحب السامي ، بعد ان انهارت المفاهيم الاخلاقية ، وطغت المادة على الروح » .

هذه الامثلة المختارة شواهد قيمة على الذهنية التي في أساس الفن المسرحي عند عدنان مردم بك ، وهي ذهنية ملتزمة وانسانية ..

يقول عدنان مردم بك في مقدمة غادة أفاميا :

« اخترت مدينة أفاميا مسرحا لابطالها ، لان أفاميا قطعة من البلاد الشامية التي لي شرف الانتساب اليها ، يضاف الى ذلك ان فيها تصويرا لمشاهد طالما شاهدتها ايام طفولتي في دمشق وعشت معها حقبة طويلة ، حين كان الشعب السوري بمجموع طبقاته حربا على المستعمر ، فحاولت تسجيل هذه الحقبة تمجيدا لها وبعثا لماضيها المشرق الذي جمع أسمى المعاني الخيرة » .

ويقول في مقدمة الملكة زنوبيا :

« وخطر لي ان اجعل من تدمر تلك المدينة السورية التاريخية مسرحا لحوادث تاريخية عاشتها الملكة العظيمة زنوبيا ، لابعث تاريخا مشرقا من تاريخ بلادي » .

وهو دائما يؤكد كما رأينا على الجانب الانساني في هذه الموضوعات التي يختارها لتخدم ذهنيته ، قال :

« وكنت أنحو في مسرحياتي الشعرية منحى التحليل النفسي ، واحل الفكرة موضع الصدارة » .

وهذا معناه ان اختيار الموضوعات واشخاصها خاضع لهذه الذهنية ، علاوة على ان تحريك الشخوص بالعمل المسرحي خاضع هو نفسه لها ، اذ يصير العمل المسرحي الى موضوع واحد ، يستقطب كافة التحليلات والتفنيدات ..

فاذا كنا ربحنا بالفعل من هذه الذهنية وحدة الموضوع ، اي نقل وحدة العمل المسرحي عند عدنان مردم بك ، وهو الامر البارز في تقنيته المسرحية ، فاننا نربح بها أيضا جهدا للتناسق الفني في بناء المسرحية الشعرية ..

ان وحدة العمل المسرحي هي بالفعل ابرز ما يميز مسرح عدنان مردم بك ، والذي يتحاشى التطويل او الاستطراد ، كما يتحاشى في الاساس الصور الجانبية عن عصر ما ، او مجتمع ما ليركز اهتمامه في عرض موضوعه وتفنيد فكرته ..

فاذا ذكرنا ان وحدة الزمان ووحدة المكان غير مرعيتين في مسرح مؤلفنا – أي كون الموضوع الواحد يتسلسل في مكان واحد ، او في اربع وعشرين ساعة – نرى لماذا يصير التناسق الفني ، او بالاحرى التنسيق الفني للبناء المسرحي تابعا لتقنية العمل المسرحي خادما لفكرته ..

ان من يتأمل البناء المسرحي عند عدنان مردم بك يجد المسرحية الواحدة مقسمة الى فصول ، والفصل يقسم احيانا الى قسمين ثم الى مشاهد ، الا ان مؤلفنا بفعل عنايته بالعمل المسرحي موضوعه وفكرته يصير الى تبديل المكان ، او تمديد الزمان كيفما شاء في هذه الفصول ، والمشاهد ..

ومن هنا تجد المكان منوعا عنده في المسرحية الواحدة ، بل في الفصل الواحد ، مثلا الطريق ، واستعماله شائع عنده ، او الدروس او غرف من الدور ، او القصور او ارجاء منها ، الحانة ، السجن ، المحكمة ، المذبح ، الخ .. في حين الزمان يطول ويقصر حسب الموضوع ، اشهر ، اعوام ، او اكثر ..

وعلى سبيل المثال نذكر ان العمل المسرحي في : « غادة افاميا » يجري على النحو التالي : الفصلان الاول والرابع يتسلسلان بمشاهدهما كافة في الزقاق ، بين السابلة والشعب ، والجنود ، في حين الفصلان الآخران الثاني والثالث ففي قصر الحاكم المغير ، او دار والد غادة ..

في حين في مسرحية : « الملكة زنوبيا » تتسلسل مشاهد الفصل الاول كلها في رواق قصر زنوبيا في تدمر، ثم يجري القسم الاول من الفصل الثاني في دار همام ، والقسم الثاني في الشارع ، بين السابلة ، والشعب ، والجنود ايضا ، حتى نعود في الفصلين الاخيرين الى قصر زنوبيا وارجائه ..

وهكذا الحال في المسرحيات الاخرى، فمثلا الحلاج، يجري العمل المسرحي فيها في الشارع العام ، قرب نشز خارج بغداد ، هو نفسه مستهلك في المسرحية ، ثم في دار الحلاج او سجنه ، لنعود من جديد الى الزقاق والسابلة والشعب والجنود حتى نشاهد محاكمة الحلاج، ويحكم عليه ..

او مسرحية رابعة التي تجري تارة في الحانة ، وتارة في دار ابن زياد ، او مسرحية العباسة التي تجري على شرفة القصر ، ثم في ابهاء قصري جعفر والرشيد ، وهكذا دواليك ...

الفكرة هنا بدون شك تمتلك هذا التنسيق ، من اجل اظهار حيثيات الموضوع ، وصراعاته ، لنقل حيثيات الفكرة وامكانياتها المسرحية ..

ويمكننا ان نسجل ان اصطناع الشخصيات ، والمواقف هو نفسه تابع لفكرة الموضوع يخدم ذهنية المسرحية في مسرح عدنان مردم بك ، كما هي الحال في ذلفاء المريدة التي تتوب على يد الحلاج ، وتظل في خدمته ، او رفقة رابعة في الحانة ، ومواقفهن الشقية في الرق ، او همام وزميله اللذين يصوران اثر الحرب على الشعب .. وغيرها ، مما سيكون لنا عود عليه .

دمشق — **عدنان بن ذريل**

يوسف خليل بيدس - معين بسيسو
كامل العسلي - خالد بصباع

بقلم الفقيد البدوي الملثم

* * *

١ ـ يوسف خليل بيدس

قالت عنه احدى صحف بلجيكا « خلق الله النيل لمصر وبيدس للبنان» وذهبت مجلة « لايف » الاميركية الى القول « انه ذلك العبقري من القدس » فيوسف بيدس مهما قال عنه خصومه وحاسدوه هو حتما واحد من عباقرة المال والاعمال في الشرق العربي .

ولد « يوسف » في بيت المقدس في ١٢ ـ ١٢ ـ ١٩١٢ ووالده الروائي الشهير خليل بيدس ، ودرس في مدرسة المطران بالقدس ومال بصغره الى درس الحساب والى مادة الرياضيات في دراسته الثانوية ، وبعد تخرجه عين موظفا في بنك باركليز بالقدس وبدأ العمل براتب قدره ثمانية جنيهات استرلينية في الشهر وسرعان ما تمرس بالاعمال المصرفية بسرعة لفتت اليه الانظار وجعلت ملفه الشخصي في بنك باركليز يضيء بالملاحظات الجيدة من قبل رؤسائه ، وتمكن وهو في الحادية والعشرين من عمره ان يصبح رئيسا لقسم التسليف ، وهي وظيفة كان من الصعب على المواطن العربي الفلسطيني ان يحصل عليها في ذلك الحين ، فلمع اسمه بين شبان القدس وسط اعجاب بكفاءاته وقدرته على حل المعضلات المصرفية والمالية .

قوبلت جهوده في بنك باركليز بالكثير من التقدير المعنوي وبالقليل من التقدير المادي فكان عليه ان يبحث عن طريق آخر اكثر سلامة ، وفي عام ١٩٤٣ انضم الى جهاز البنك العربي بالقدس واتيح له ان يحول الكثيرين من زبائن « باركليز » الى « البنك العربي » وظل يعمل في هذه المؤسسة العربية حتى نشوب الحرب العربية الفلسطينية عام ١٩٤٨ حيث لحق بافراد اسرته في بيروت مؤمنا باستحالة العودة الى القدس المحتلة .

وفي بيروت تطلع يوسف الى عمل يملأ به فراغه وجيبه فصارح بعض اخوانه الذين نزحوا عن فلسطين بقوله « ما دمنا نعيش هكذا فاننا لن نتخلص من الحلقة المفرغة التي ندور فيها لنشغل ادمغتنا قليلا ، باستطاعتنا ان نفعل شيئا . لو جمعنا ما تبقى معنا من مال واستلفنا فوقه نستطيع ان نؤسس مكتبا يتعاطى الاعمال المصرفية ، ويبدو لي ان هذه التجارة ستكون رائجة ! » .

اعجب الرفاق بالراي الذي ابداه يوسف وتم الاتفاق بينه وبينهم على تأسيس مكتب للصرافة اطلق عليه بيدس اسم « التجار العالميون» الذي اشتقت منه كلمة « انترا » وتمكن الرفاق من جمع مبلغ ١٢ الف ليرة لبنانية جعلوه رأسمال المكتب واختاروا مقرا له غرفة في بناية بيضون ، ساحة النجمة ، ببيروت . وفي حديث ادلى به يوسف بيدس لمجلة « لايف » الاميركية قال :

« ان التشغيل السريع للعملة ، حتى ولو كان الرأس المال صغيرا يعطي ارباحا متواصلة » وبهذه الفلسفة تمكن بيدس من السير بمكتب « التجار العالميون » وكان مقود العمل في السوق المالية بيده ، وعمل بسرعة ومهارة عجيبتين واصبح حديث بيروت ، وتمكن خلال فترة وجيزة من اقامة علاقات وثيقة مع المصارف المحلية والاجنبية مما اكسبه ثقة الجميع ، وساعدته تجارة الاسهم والسندات والمضاربات في السوق المالية على زيادة رأس المال والارباح حتى تمكن تدريجيا خلال سنة واحدة من السيطرة على ٦٠٪ من السوق المالية اللبنانية الامر الذي دفعه الى زيادة رأسماله الى خمسة ملايين ليرة لبنانية .

ونتيجة لتدفق الرساميل الفلسطينية على لبنان وتقدر في حدود (١٥٠) مليون جنيه استرليني قرر بيدس تحويل شركته التجارية الى مصرف ، ولم يأت عام ١٩٥١ حتى تمكن من المساهمة مع السيدين منير حداد ومنير ابي فاضل من الحصول على رخصة مصرف برأسمال اربعة ملايين ليرة لبنانية ما لبث ان زاد عام ١٩٥٣ الى ١٢ مليون ليرة لبنانية ثم الى ٣٠ مليون ليرة لبنانية واخيرا بلغ ٦٠ مليون ليرة لبنانية.

وكانما القدر كان على موعد مع يوسف فالتاميمات في البلاد العربية حول لبنان بدأت تشتد عنفا في مصر وسورية والعراق ، وكان الرأسمال العربي المغترب عن بلده يبحث عمن يحس معه ويفهم عليه ، ويعيش قلقه وخوفه ، ومن كان في السوق مثل يوسف بيدس المغترب الفلسطيني يعرف كيف يفهم لغة كهذه فجند زملاءه وشركاءه في ادارة المصرف ، وكذلك مشاعره المرهفة ... وهو ينشد نفسه قول « شوقي » : « ان الحياة عقيدة وجهاد ! » .

ودبت عقارب الحسد في صدور بعض خصومه فشنوا عام ١٩٥٤ اول حملة صحافية ضد بنك انترا وضد بيدس شخصيا لكن مهاجميه لم يفلحوا قط في مواجهة ما ابداه من التحدي فخرج العبقري الفلسطيني سالم الرأس من هذه الازمة وواصل عملياته بحيوية ونشاط ، ومضى قدما حتى تجاوز الحد الذي وضعه لنفسه في البدء واستولى في بعض الحالات على شركات اجنبية كبرى ظلت حتى الآن مسيطرة على مؤسسات لبنانية شتى .

وجاء الهجوم الثاني سنة ١٩٦٢ وكان ايضا في صورة حملة صحافية استمرت شهورا عدة لكن بيدس العملاق خرج من هذه الازمة بسلام .

وفي عام ١٩٥٥ أسس فندقا ضخما بملايين الليرات ، وتبعه بعدة شركات عقارية ثم اشترى اسهم شركة بريطانية في شركة طيران الشرق الاوسط واتجه الى شراء الشركة المنافسة ايضا محاولا توحيد الشركتين بعد مفاوضات وصعوبات وعراقيل استمرت سنة كاملة ، ووضع خططا اخرى لبناء ثلاثة فنادق جديدة ، واشترى المطبعة الاميركية على طريق بيت مري طامحا الى تحويلها الى مؤسسة طباعة للمجلات العالمية والموسوعة البريطانية بالعربية والفارسية ولغات شرقية اخرى ، وخطط لتوسيع مدينة بيروت بردم جزء من البحر شمالي المدينة واسس استوديو للتصوير السينمائي واشترى قطعة كبيرة من الارض لبناء مجموعة استوديوهات وفنادق مؤلفة من شقق فخمة لنجوم السينما العالميين ، متخيلا انه بامكان لبنان ان يضم هوليود جديدة « حيث الطقس ملائم للتصوير طيلة ٣٢٠ يوما في السنة » وخطط للتعاقد مع كسب المخرجين والنجوم في العالم ، في الوقت الذي كان يحلم بالربح عن طريق حل مشكلة التفاح في لبنان بانشاء شركة مختلطة للتبريد والشروع في بناء براد كبير لها ما لبث بعد بدء العمل فيه ان توقف مع اندلاع الكارثة ، كما اسس البنك العقاري العربي وانشأ شركة ترميم وتصليح الطائرات ورافق ذلك كله احلام جسام بعضها لم يكن من نسج الخيال كانشاء مسمكات واسطول لصيد الاسماك وبناء مساكن شعبية رخيصة لذوي الدخل المحدود يدفعون قيمتها على اقساط بواسطة التسهيلات المصرفية التي كان « انترا » يوزعها ايضا في الداخل والخارج على مؤسسات لبنانية وعربية وعالمية .

ودع الناس عام ١٩٦٥ واستقبلوا العام الذي يليه فوجدوه عام

الحاجة المتزايدة الى السيولة المالية ، ناهيك عـن توقف مؤسسات مالية عديدة ومؤسسات اقتصادية كبرى عن العمل ، وليس في الجو ما يشير الى ان اموالا جديدة ستتدفق على البلد خصوصا بعد ان وجد المتمولون مجالات جديدة لهم في اوروبا والولايات المتحدة ، ولقوا اغراءات في الخارج وفي طليعتها الفوائد المرتفعة ، وهنا تحرك الخصوم لتهديم « انترا » والاجهاز على بيدس فلفقوا التهم وحرضوا احد امراء البترول العرب على سحب عشرين مليون ليرة لبنانية في يوم واحد ... مما اصاب بيدسا ومعاونيه بالدهشة والحيرة والقلق خصوصا ان المنافسة على جذب الودائع بلغت اوجها صيف ١٩٦٦ بين المصارف اليابانية التي اجزلت العطاء في الفوائد المرتفعة .

وتتالت السحوبات من امراء البترول العرب لحساب المصارف الاجنبية ، وهنا أحس بيدس بالخطر فجال في اوروبا بحثا عن المال لتفادي الازمة وقصد نيويورك واجتمع الى ممولين كبار بينهم « لودفيغ » لكن مفاوضاتهم لم تؤد الى النتيجة التي كان يتوخاها .

وبينما كان بيدس يجول في اوروبا يجمع الرساميل ويقوم بالعمليات الكبيرة ومن بينها شراء قطعة ارض في الشانزليزه بباريس وشراء مصنع للفولاذ ، ليظهر مصرفه في وضع سليم ، طرق باب « البنك المركزي » في بيروت ليسلفه مبلغ ٣٢ مليون دولار ، فجاء الرد من عالم المال « ان بيدس في مازق » ووزعت آلاف النشرات على مودعي انترا تحثهم على سحب ودائعهم من « انترا المهزوز » ، وفي ١٥ تشرين الاول ١٩٦٦ توقف « انترا » عن الدفع نتيجة ازمة داخلية مفتعلة تهدف الى القضاء على « انترا » والقائمين على شؤونه .

وفي مدينة سان باولو بالبرازيل القت السلطات البرازيلية القبض على يوسف بطلب من السلطات اللبنانية واودعته السجن لكنه اصيب بذبحة قلبية وهو في سجنه نقل على اثرها الى احد مستشفيات المدينة . وعندما شفي من الذبحة غادر البرازيل الى باريس بجواز سفر مزور ومنها توجه الى سويسرا بنفس الجواز وبعد شهر اكتشفت السلطات السويسرية حقيقة امره فاوقف في مدينة لوسيرن في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٦٧ بطريق المصادفة عندما ترك سيارته مضاءة الانوار امام مركز بوليس المدينة ، وهنا عرفه البوليس السويسري واعتقله لفترة وجيزة ثم ما لبث ان افرج عنه بعدما تبين له ان ملف استرداده الى لبنان جاء خلوا من المستندات القانونية الكافية وخصوصا ان الاطباء اكتشفوا انه يعاني من السرطان في البنكرياس فدخل المستشفى واجريت عليه عملية جراحية ، وبعد ان تماثل للشفاء جنس يكتب مذكراته ورسالته الى الشعب اللبناني ، كانما ادرك ان نهايته باتت قريبة فانجز كتابة رسالته ووصيته وختم كلا منهما بالشمع الاحمر .

وفي مدينة لوسيرن السويسرية قال يوسف بيدس « انا لم اسرق، اخبروا المحكمة بهذا ... هنا اريد ان ادفن ... هنا وجدت الحرية الحقيقية ، هنا يحترمون الانسان ، نفسي تتوق الى الهدوء . ضعوني في حضن الطبيعة التي احببت خلال هذه الاشهر ، ليت القدس حرة لكنت اوصيتكم ان تنقلوا رفات امي وابي اليهـا وان تدفنوني الى جوارهما » وفي غرفة المستشفى ودع يوسف الحياة مسامحا الذين اساءوا اليه وللبنان والشرق العربي ، وتاركا قضيته في ذمة التاريخ وهو يقول « لن اعود (١) الى لبنان لتوضع الاصفاد بيدي ولكي يرموني في السجن دون محاكمة ، ولكي يسكتوني الى الابد ، ان اعدائي هناك بامكانهم ان يقتالوني » .

وفي ٢٨ تشرين الثاني ١٩٦٨ ودع بيدس شهيد النجاح هذا العالم الفاني ، الى العالم الثاني وزوادته عوامل نجاحه وهي : الطموح والحلم والمغامرة والسفر ودفن في مدينة لوسيرن السويسرية .

نموذج من نثره : « لقد (٢) راودتني رؤيا مجد لبنان : هـذه الامة الصغيرة التي شعبها في الماضي اقدم على نهج من المغامرة لا يقل في دلالته عما حققه اولئك المكتشفون الذين دانت لهم قارات جديدة ، والتي حقق شعبها اليوم انجازات كبيرة مماثلة في عالم التجارة في كثير من القارات ، ولم تعوزه سوى القوة الدافعة من ارض الوطن .

لقد بدأت هذه الرؤيا تراودني قبل عشرين عاما عندما فقدت بيتي وموطني واستدرت نحو وطن امي وزوجتي ، يحفزني حلم لذيذ بان اساهم في خلق مثل هذه القوة الدافعة ، فاغرس حبة يغذيها الآخرون ويرعونها . وبدأت جادا ، وسرعان ما اصبح وطن اقاربي هو وطني أيضا . لقد اثر في نفسي ما لقيت من مودة وضيافة ، فارتبطت بارضه وبشعبه وباسلوب حياته ، وعندئذ اتخذت آمالي واحلامي منعطفا اكثر طموحا . وبرغم ان راحتي الشخصية ونجاحي الخاص كفرد كانا جزءا لا يتجزأ من عملي ، فان هذا الاعتبار اخذ يتلاشى من خاطري حيال سعيي الذي استولى على كل كياني في سبيل ان ادعم شعور العالم الخارجي بوجود لبنان ، وان اكفل لامتنا رخاء يستند الى معرفة فذة بالتجارة والى انجازات مدعومة في كل ميدان .

لقد تركت فلسطين بعقيدة ثابتة فحواها ان العامل الاكبر وراء ضياع فلسطين كان عدم مقدرتنا على استخدام امكاناتنا في القطاعين المالي والسياسي على السواء ، وان الجهد السياسي يتطلب تركيزا اكبر على توسيع نطاق معرفتنا وثقافتنا الى ما هو ابعد من حدود الماضي الضيقة . لقد كان لاعدائنا من قوة المال ودقة تنظيم الجهاز ما لم يكن في طاقتنا مباراته . ولقد حلمت بلبنان مالكا لناصية قوة مشابهة ، ولم ار ما يحول ، بفضل مثابرة شعبه ، دون ان يضع حجر الاساس ، على الاقل ، لمثل هذا البناء . وبرغم اني كنت على بينة من صغر شعبنا عددا ومن قلة مواردنا القومية ، لكنني كنت أرى اننا نتمتع ، في مقابل ذلك ، بموقع جغرافي ممتاز وبطاقة بشرية هائلة - أي بما يلزم من مقومات لتحويل هذا الوطن الى مركز مالي ودولي او الى قدرة تجارية ضخمة ، ينافس في رخائه سلفه الفينيقي وجاره الذي فرض عليه في الجنوب .

بدأت على نطاق متواضع جدا اذ كان رأس المال شحيحا ذلك الحين ، وكانت مواردي الخاصة ، شاني شان سائر رفاقي الفلسطينيين ، لا تكاد تفي بمتطلبات الحياة اليومية . فاقمت مكتب صرافة بسيطا تطور بعد جهد كبير الى بنك صغير كان نواة للصرح المالي الضخم الذي وفقت أنا وزملائي الى تشييده خلال خمسة عشر عاما ، الا اني ادركت ، منذ مطلع الخمسينات ، ان انجاز ما صبوت اليه هو اسهل في عالم الرؤيا منه في عالم الواقع . لقد كان من الواضح ان جل الاعمال المهمة في لبنان تسيرها مصالح اجنبية بطريق مباشرة او غير مباشرة ، وكان هذا أشبه بالامر الطبيعي ، نظرا الى ان لبنان لم يكن تخلص بعد من الانتداب الفرنسي سوى منذ وقت قصير ، والى ان اموال النفط المتدفقة من منطقة الخليج كانت جعلت من لبنان هدفا بارزا لمصالح الاعمال الفرنسية والبريطانية والاميركية ، حتى بعد انتهاء الانتداب .

كما كان جليا ايضا انه لا يمكن احراز اي تقدم اقتصادي ذي بال ، بل أي استقلال سياسي حق ، دون احراز الاستقلال الاقتصادي اولا .

وما كان مستطاعا بلوغ هذا ، كما كنت اعلم علم اليقين ، الا باسباغ الصفة اللبنانية الحقيقية على ذلك العدد الزاخر من المشاريع اللبنانية بالاسم وان كانت في الواقع في براثن المصالح الاجنبية . وشرعنا ، انا وزملائي ، خطة اللبننة ونحن نعرف خير المعرفة اننا بعملنا لا نتحدى المصالح الاجنبية المقتدرة فحسب ، بل ايضا جماعة من ابناء لبنان ، قليلة العدد لكنها عاتية النفوذ والسلطان . وهذه الجماعة التي لا تنتمي الى اكثر من خمسين اسرة ظلت تعتمد حتى تعيش ، منذ ايام الانتداب ، على خدمة المشاريع الخاضعة لسيطرة اجنبية في لبنان ، انما بشكل مستتر ، ومن ثم توجسنا ، انا

---

١ - من حديثه لمجلة « لايف » الاميركية ، ٢ - من خطابه الذي وجهه الى الشعب اللبناني قبيل وفاته .

وزملائي ، منذ البداية ، خيفة من ان ايه خطة للبننة صميمة ستقابلها معارضة عنيفة نكراء من قبل هـذه الجماعة ، وسرعان مـا تحققت مخاوفنا . وفي ايامنا الاولى في بنك انترا ، قبل ان يجتذب نمونا انتباها كافيا ، تركنا وشاننا نعمل بسلام . ولقد نجحنا ... ونمونا سريعا وآلت الينا مشاريع عدة من ايـد اجنبية نقلناها الى ايـد لبنانية ، ومضينا في طريقنا لبت مصير عدد من اهم المؤسسات الخاضعة للسيطرة الاجنبية في لبنان » .

٢ ـ معين بسيسو

ولد « معين » في غزة هاشم سنة ١٩٢٦ وانهـى علومـه الابتدائية والثانوية في كلية غزة التي انشأها الاستاذان شفيق ووديـع ترزي ، واتخذ من شعره سلاحا يغري به هامـة الظلـم ، ومصباحا يضيء للمناضل العربي درب الكفاح المسلح ، وكانت باكورة شعره قصيـدة « الفلاح الفلسطيني » التي نشرتها مجلة « الحرية » اليافية سنـة ١٩٤٦ ، ويعتبر « معين » احد اركان شعر النكبة .

واستكمالا لدراسته التحق سنة ١٩٤٨ بالجامعة الاميركية فـي القاهرة وتخرج سنة ١٩٥٢ من (قسم الصحافة) وكان موضوع رسالته « الكلمة المنطوقة » وتدور هذه الرسالة حول الحدود الفاصلة بين كل من المذياع والتلفزيون من جهة والصحيفة (الكلمة المطبوعة) من جهة اخرى . وخلال دراسته في مصر شرع ينشر قصائـده في صحف ومجلات القاهرة وفلسطين وهو اليوم يعمل في جريدة « الاهرام » .

وليغني « معين » جراح شعبـه المنكوب ، ووطنـه المغصوب ، وليستعين بشعره على الكشف عن المصائب التـي صبها الاستعمار والصهيونية على امته ... نشر الدواوين التالية :

١ ـ المعركة ـ صدر في سنة ١٩٥٢
٢ ـ الاردن السليب ـ صدر في سنة ١٩٥٨
٣ ـ فلسطين في القلب ـ صدر في سنة ١٩٦٤
٤ ـ الاشجار تموت واقفة
٥ ـ على الصليب
٦ ـ العن اجدادك يا جدي
٧ ـ عطر الارض والناس
٨ ـ مارد من السنابل ـ صدر في سنة ١٩٥٨
٩ ـ قصائد على زجاج النوافذ ـ صدر في سنة ١٩٦٩
١٠ ـ القمر ذو الثلاثين وجها

وفي اعقاب سنة ١٩٥٦ نشر « معين » بمشاركـة بعض الشعراء مجموعة شعرية اسموها « قصائد مصرية » جمعت الوانا مـن شعر المقاومة ابان العدوان الثلاثي على مصر وغزة .

نماذج من شعره : تفيض دواوين « معين » بالوان مـن الشعر القومي النابض بفضح جرائم الاعداء والكشف عـن الظلامات التي الحقوها بالعرب في فلسطين .

ومن قصيدة عنوانها « المعركة » يقول « معين » :

انا ان سقطت فخذ مكاني   يـا رفيقي فـي الكفـاح
واحمل سلاحي لا يخفـك   دمـي يسيـل مـن السلاح
وانظـر الـى عيني اغـ   مضتا على نـور الصباح
انـا لـم أمت أنا لـم أزل   أدعوك من خلف الجـراح

وفي قصيدة بعنوان « تحد » يقول الشاعر :

انـا لا اخاف من السلاسل   فاربطونـي بالسلاسـل
من عاش في ارض الـزلازل   لا يخـاف مـن الـزلازل
لـن المشانـق تنصبون   لـمـن تشدون المقـاصل
لـن تطفئوا ـ مهما نفختـم في الدجى ـ هـذي المشاعـل
الشعـب اوقدهـا وسـار بهـا قوافـل فـي قوافـل

وصور « معين » الويلات والمصائب التي صبها الاستعمار علـى « غزة » ، ومن قوله في المدينة المحاصرة والرابضة عـلى شاطـىء الابيض المتوسط :

البحر يحكي للنجوم   حكايـة الوطـن السجين
والليـل كالشحاذ يطـرق بالدمـوع والانين
ابواب غـزة وهي مغلقة عـلى الشعب الحزين
فيحرك الاحياء نامـوا فـوق انقاض السنين
وكانهـم قبـر تـدق عليـه ايـدي النابشين

وفي قصيدته « دقت الساعة » يقول الشاعر :

ليس ذنبي ان كان للنور قبر   في بـلادي وللمكافـح قبـر
انني اكتب الحقيقة لكـن   ثورة الحـق في بـلادي كفـر
قلمي في الحديد في ظلمة السج   ن طريـح مكبـل لا يصـر
نفسي حائم يفتش في الظلـ   مة عـن منفـذ ولا يستقـر
أبدا أرفع العيون الـى البا   ب ولا حامـل شماع يمـر
واذا ما سمعت دمدمة الريح   تـدوي قلت العواصف كثـر
أين شعبي العملاق في القمقم   لي ديـن فـي عنقه لـي عمـر
أين أنفاسه تحطم قيـدي   أيـن ثاراته ؟ أمالـي ثـأر
ان شعبي العملاق فـي القمـ   ـقم مثلي وفوقه الليل بحـر
ويعاني الـذي أعانـي وهل   يفرح نسـر وفي السلاسل نسر

وتطلعا الى يوم تحرير .. يقول « معين » بلا مواربة ولا ابهام :

نحن لن نتـرك السلاح وفي الار   ض اسـارى وآسرون وأسـر
أيها الشعب ! أيها الميت الحـي   بارض منهـا القبـور تعـر
انظر الصين كيف ثارت على المو   ت وفي الصـين للملايين نصـر
كيف دكت جدران معبدها الرحـ   ـب وفيه الاصنام بيض وصفـر
صرخات العبيد فـي أذنيهـا   جمعت فالعبيـد بعـث وسـر
دقت الساعـة الرهيبـة وانشـ   ـق عـن المارد المخدر ستـر
غدنا أيها القريب لقـد اوشك   يمشي عـلى الطريـق الفجـر
سوف نجتاح حائط السجن يومـا   فوراء القضبـان يلهث حـر

واثر الاعتداء الثلاثي الذي شنته بريطانيا وفرنسا واسرائيل على مصر وغزة عام ١٩٥٦ خاطب « معين » الغزاة :

أبدأت تحـزم في الحقائب   أيـن أزمعـت الفـرار
ويـد الجماهير العريقـة   فـي الطريـق وكالجدار
أيـن المفـر ولا طريـق   الـى القطـار أو المطـار

٣ ـ الدكتور كامل العسلي

ولد « كامل » في بيت المقدس عام ١٩٢٥ واكمل دراسته الثانوية فـي الكلية الرشيدية وكان مبرزا بين اقرانه ، والتحق ب « معهد الحقوق الفلسطيني » ونال دبلوم الحقوق عـام ١٩٥١ وعين معلما في مدرسة الروضة فمترجما في مكتب الترجمة التابع للسكرتيرية العامة بالقدس.

وبعد توحيد ضفتي الاردن (١٩٤٨) عمل في الاذاعة الاردنيـة ونال شهادة بكلوريوس في الآداب من جامعة لندن في عام ١٩٥٠ ، وفي عام ١٩٥٢ قصد الكويت وعين معلما في المدرسة الشرقية ، وبعد سنة امضاها هناك عاد الى القدس وعمل مفتشا للتعليم في وكالة الغوث ، ثم انتقل الى مدرسة خضوري الزراعية (١٩٥٤ ـ ١٩٥٦) بطولكـرم وعاد الى القدس وعمل في دار الاذاعة الاردنية وفي عام ١٩٥٧ بـارح الاردن الى القاهرة وعين معلقا في اذاعتها وامضى فيها سنتين .

وفي عام ١٩٥٩ يمم « كامل » برلين وعمل في حقل الصحافة وعكف على الدراسة في جامعة برلين حتى احرز الدكتوراه في الفلسفة بدرجة الامتياز عام ١٩٦٧ وكان موضوع الاطروحة التي قدمهـا « الاتجاهـات التقدمية في الفكر العربي الحديث : ١٧٩٨ ـ ١٩١٨ » ، وفي عـام ١٩٦٨ عاد الى الاردن وعين مديرا عاما لمكتبة الجامعة الاردنية .

من آثاره القلمية : نشر الدكتور العسلي عشرات المقالات فـي الصحف وزود اذاعتي القـدس والقاهـرة بطائفة مـن التعليقات

والتمثيليات . ومن مؤلفاته التي وقفنا عليها :

١ ـ الحرب الاهلية في فرنسا (١٩٦٠)
٢ ـ تعليم الالمانية بالراديو (بالعربية والالمانية) (١٩٦٢)
٣ ـ الثامن عشر من برومير لويز بونوبارت (١٩٦٥)
٤ ـ الاتجاهات التقدمية في الفكر العربي الحديث (١٧٩٨ ـ ١٩١٨)

نموذج من نثره : « لم يكن فرح انطون ذا مذهب فلسفي متكامل، فالسمة الظاهرة في تفكيره هي طابعه الانتقائي ، فقد كان يضع جنبا الى جنب عناصر متناقضة . وهذا التناقض كان يعكس بدوره الظروف الشديدة التعقيد للبيئة الاجتماعية التي نشأ فيها هذا المفكر ، ويعكس التنافر بين آفاق واهداف الطبقة الاجتماعية المتوسطة التي كان « فرح » ينتمي اليها وبين الطبقة الحاكمة ، وكذلك اثر الثقافة الاقطاعية السائدة في المجتمع ، كما كان صدى لتأثر فرح أنطون بانماط مختلفة من المفكرين ينتمون الى مدارس فكرية شتى ، فقد تأثر بتولستوي ونيتشه وديدرو وافلاطون وسبنسر وويلز وشو . واجتمعت في تفكيره المثالية مع عناصر من المادية وعناصر من الاخلاق المسيحية مع مذهب تنازع البقاء وسيادة الافضل ، وعناصر من مذهب الرجوع الى الطبيعة ، الى جانب تمجيد الحضارة الحديثة !

وبالرغم من ذلك كله يظل في تفكير « فرح » اتجاه محدد وهدف واضح ، فالاثر الابرز في تفكيره انما كان للانسانيين الكبار . والخط الاساسي في فكره هو الايمان العميق بمصائر النوع البشري ، وبما يدعى بالانسانية ، شانه في ذلك شان الانسانيين الطوباويين الكبار الذين نددوا بالظلم الاجتماعي وحاولوا ان يفصلوا نماذج لمجتمع انساني سعيد .

وكان « فرح » في هذا يعبر عن الطبقة الاجتماعية التي كان ينتمي اليها ـ الطبقة الوسطى ـ التي كانت ترزح تحت الضغط الاقتصادي والسياسي والفكري ، وكانت بالتالي تتطلع الى المساواة الاجتماعية والاقتصادية والى الحرية الفكرية والسياسية .

واذ لم تكن الطبقة الوسطى الناشئة قادرة على قلب النظام الاقطاعي القائم ، فقد لجأت ، بلسان ايديولوجيتها ، الى التبشير بالمثل الانسانية العليا ، وطالبت بحقوقها باسم هذه المثل حين لم تكن في وضع يمكنها من الثورة على الباطل باسم الحق » .

٤ ـ الدكتور خالد بعباع

ولد « خالد » في مدينة طولكرم بفلسطين سنة ١٩٢٤ وأنهى دراسته الابتدائية والاعدادية في المدارس الاميرية بمسقط رأسه ثم التحق بكلية تراسانطة في القدس فكلية بيرزيت وفي عام ١٩٤٤ حصل منها على الشهادة الثانوية وبعد عام التحق بمعهد الحقوق في القدس وظل يوالي دراسة القانون حتى انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين .

وفي عام ١٩٥٢ بارح البلاد الى الولايات المتحدة والتحق بجامعة ساوث وسترن بمدينة جورج تاون بولاية تكساس وحصل على بكالوريوس في الاقتصاد والعلوم السياسية بمرتبة الشرف وشهادة الماجستير في العلوم السياسية والتاريخ بمرتبة الشرف كذلك في عام ١٩٥٦ وكان عنوان الاطروحة التي قدمها « البحث عن الانصاف ـ نقد تحليلي لقضية اللاجئين العرب من فلسطين » .

وفي عام ١٩٥٦ التحق بجامعة تكساس واقبل على الاعداد لشهادة الدكتوراه ثم التحق بجامعتي نيويورك ونيوسكول للابحاث الاجتماعية واحرز الدكتوراه في نهاية عام ١٩٥٩ وكانت الاطروحة التي قدمها بعنوان « الحياد وعدم الانحياز : بين الحقيقة والخيال » .

وبعد توحيد ضفتي الاردن عين كاتبا لقائمقامية طولكرم فرئيسا لكتاب متصرفية لواء اربد ، وعقب رحيله الى الولايات المتحدة عمل رئيسا لقسم الابحاث في الوفد الدائم لجامعة الدول العربية لدى الامم المتحدة (١٩٥٧ ـ ١٩٥٩) فعضوا في وفد اليمن لدى المنظمة العالمية (اثناء الدورات) فمذيعا لنشرة انباء الامم المتحدة باللغة العربية (١٩٥٨ ـ ١٩٥٩) فمديرا لمكتب جامعة الدول العربية في كندا (١٩٦٠ ـ ١٩٦٤) فمديرا لمكتب جامعة الدول العربية لجنوب غربي الولايات المتحدة . وتقديرا لكفاءاته منح « العضوية » في عدة اكاديميات وجمعيات علمية في اميركا .

من آثاره القلمية : جمع الدكتور بعباع بين الدراسات العليا وبين العمل السياسي البناء لقضية فلسطين ، ووضع بين أيدي الساسة والمهتمين بالقضية الفلسطينية طائفة من الكتب والنشرات باللغة الانكليزية ، كما نشر سلسلة مقالات قيمة في جريدة « الدفاع » المقدسية ابرزها « الحقيقة والرؤيا في الشرق الاوسط » .

ومن الكتب والمقالات المنشورة باللغة الانكليزية :

١ ـ البحث عن الانصاف ـ نقد تحليلي لقضية اللاجئين العرب من فلسطين ـ طبع عام ١٩٥٦
٢ ـ الاستعمار البريطاني في اليمن (كتيب) ـ طبع عام ١٩٥٨
٣ ـ حقائق واخطاء (كتيب) ج١ يشتمل على (مجموعة رسائل لمحرري الصحف الكندية لدحض المفتريات الصهيونية) طبع عام ١٩٦٠
٤ ـ حقائق واخطاء (كتيب) ج٢ طبع عام ١٩٦١
٥ ـ مغالطات عن قضية اللاجئين العرب (كتيب) طبع عام ١٩٦١
٦ ـ سياسة الثأر الاسرائيلية ومبادىء الامم المتحدة (كتيب) ١٩٦٢
٧ ـ المحترفون السياسيون وقضية فلسطين (كتيب) ١٩٦٢
٨ ـ الحياد الايجابي (كتيب) ١٩٦٢
٩ ـ قضية مانكرفت الصهيوني الانجليزي (كتيب) ١٩٦٣
١٠ ـ عدم الانحياز كمبدأ دبلوماسي وعقائدي (يدرس هذا الكتاب في الجامعات الاميركية) وقد نشرته جامعة بنسلفانيا بعنوان « السياسة والنظام الدولي » كما نشرته جامعة الاباما بعنوان « قضايا الامم » ١٩٦٩

ونشر الدكتور بعباع طائفة من المقالات السياسية عرفنا منها « نشاط الجامعة العربية في الحقول الاقتصادية والاجتماعية والثقافية» و « الصهيونية ومبادىء الاخلاق » و « روح جديدة في العراق » و « التقدم الاقتصادي في مصر » و « الحياد الايجابي العربي » و « العلاقات العربية الاميركية الحديثة » و « القوة الثالثة والامم المتحدة » .

نموذج من نثره : « عندما يتحدث العربي للغربي عن قضية فلسطين يوافق الغربي العربي على ان انشاء اسرائيل كان خطأ اساسيا ، ولكن يختلف مع العربي على واقع الحال والمستقبل بشأن اسرائيل .

يتفق اصدقاء العرب الغربيون مع العرب على الحقائق التالية :

أ ـ ان ما تزعمه الصهيونية من ان انشاء اسرائيل قائم على حجج تاريخية ، وذلك لارتباط التاريخ اليهودي بفلسطين ، هو زعم باطل لا يستلزم انشاء دولة سياسية اسرائيلية . ذلك ان مثل هذا الادعاء التاريخي لو صح لتغيرت معالم خارطة العالم الان ، ولطالب العرب باسبانيا ، والمكسيك بولايتي تكساس وكليفورنيا ، والهنود الحمر بالولايات المتحدة .

ب ـ ان وعد بلفور لوعد باطل وعاد من النواحي الاخلاقية والشرعية ، وكذلك الانتداب البريطاني على فلسطين ، اذ انهما مخالفان للوعود التي قطعتها بريطانيا للعرب في الاتفاقية المبرمة بين الحسين ـ مكماهون عام ١٩١٦ ، كما انه لا يحق لفريق ثالث (بريطانيا) ان تقطع فريقا آخر بلادا لا تملكها ، وعند اعطائها وعد بلفور لم تكن قد احتلت فلسطين بعد . هذا بالاضافة الى ان وعد بلفور نفسه قد ضمن حقوق غير اليهود ، وهي الاكثرية العربية .

و (وعد بلفور) ينطوي على انشاء ملجأ روحي في جزء من

أين هاجرت

سمـاء عينيـك
ماوي صباباتي
وعطـر ....
يوغل في ذاتي
مثل سحابات
من أرج عـات
أو زورق أزرق
يطوي المـدى الآتي
بالله يـا رفيقة الزهر
في السهل والوادي .
يـا ضحكة النهـر
وغنـوة الشادي !
كيف تواريت
من أفق العمر
وأيـن هاجرت
في وحشة الصمت ؟
أمس سالت الربوع
عن طيفك العافي
بين ثنايا الاصيل
والقصب الغافي
فجاوبتي الحقول :

« ولى مع العاصفات
وما له من رجوع »
أيامنا الهاربات
والذكريات العتاق
تومض في وحشة ليل الفراق
كالانجم النائيات
فيغمر القلب أريج الحنين
عذبا ، وتمحو خطوات السنين
نوازعا لم تك الا هباء
وتشرق الشمس
على هوى غيبه رمس
في فلـوات الشتاء
صوت رفيق رفيق
شق سكون الطريق
ينعي روى غابرات
ويشعل الذكريات
ولمـا طواني الغروب
أسلمت نفسي الافول .

دمشق
رضوان عقل

فلسطين ، وليس دولة سياسية في معظم فلسطين ، كما فسرت ذلك مذكرة تشرشل لعام ١٩٢٢ واكد ذلك « هوجارت » .

جـ ـ ان سياسة بريطانيا في اخضاع عـرب فلسطين ومحاولة اذلالهم ، في الوقت الذي كانت تحمي فيـه يهود فلسطين وتسمـح بالهجرة ، وتضع المناطق العربية في ظروف اقتصادية عصيبة ، هـي سياسة تعسفية جائرة تخالف النظم الديموقراطية .

د ـ ان انسحاب بريطانيا المفاجيء من فلسطين في ظروف هددت مصالح الاكثرية العربية ، يخالف التزاماتهـا السياسية والاخلاقيـة بموجب صك الانتداب ، وكذلك امتناعها عن التصويت على التقسيم في الامم المتحدة يغاير نظم العدالة لعلمـه الاكيـد باجحافه بحقوق العرب ، وعدم قابليته للتنفيـذ الا باستعمال القـوة وتشريد عرب فلسطين من ديارهم ووطنهم كما حدث ذلك بالفعل .

هـ ـ ان قرار التقسيم لم توافق عليه الامم المتحـدة باغلبية ٣٣ صوتا وامتناع ١٠ دول عن التصويت ومعارضة ١٣ دولة ، لان ذلـك يعبر عن وجهة نظر عالمية ، لكن ووفق عليه للضغط الواضح الـذي قامت به الولايات المتحدة . والامم المتحدة لا يحق لها ان تقسم أيـة دولة ضد رغبات اكثرية السكان ، لان ذلك يخالف حق تقرير المصير الذي نص عليه الفصل الاول ، المادة ٢ (أ) من ميثاق الامم المتحدة .

ان قول الغربي ان اسرائيل امر واقع ، ويتطلب من العرب عقد صلح معها لقول مردود ويغاير مجرى التاريخ ، اذ ان حقيقة وجـود اسرائيل لا يستلزم من العرب الاعتراف بأمر واقع غير اخلاقي ، كما لا يمنعهم هذا الامر الواقع من الثورة عليه ، لانها حقيقة غير محببة الـى نفوسهم ومصالحهم . ان القاعـدة والمبدأ الدوليين وهي « مبـدأ المصلحة الحيوية » تقف الى جانب العرب . وليفهم الغربي وجهـة النظر العربية أليس من الحـق ان نذكرهم بان الاميركيين الاصليين ثاروا على الاحتلال البريطاني لبلادهم ، كما ثار الفرنسيون على النظام الاقطاعي القديم في وطنهم بما عرف بالثورة الفرنسية ؟ ألم يثر كافور ومازيني على تجزئة ايطاليا حتى تم توحيدها ؟ الا تتمتع الان اكثر مـن ثلاثين دولة افريقية بسيادتها واستقلالها ؟

ان اسرائيل بالنسبة للعرب هي واقع بغيض ، وقد جاء اليهـود الى فلسطين كغزاة غاصبين محتلين ، اذ ان فلسطين لم تكن وطنا بـلا مواطنين ، ليحتله مواطنون بلا وطن .

لم يكن في وسع الصهيونيين احتلال فلسطين دون اخراج سكانها العرب بحد السلاح واذا سلمنا جدلا بوجهة النظر هـذه فان ذلـك يؤيد القول « الحق للقوة » ويتبع ذلك مسخ للقواعد الدولية واستبدال القانون الدولي وقوانين الامم بقانون الغاب ! »

عمان ـ الاردن
البدوي الملثم



واصف باقـي

من ربـوع بـلادي

بقلم واصف باقـي

* * *

سألني ما الاندلس ؟ اصحيح انها اسطورة من الجمال ؟ فانتابني الصمت هنيهة وانا سادر الخيال وقلت لـه : الاندلس ، كلمة تملأ النفس بمعاني السحر والفتنة ، بلى يا صديقي انها آية في الروعة والجمال ولم لا ، وهـي تسمو بالمشاعر الى آفاق خلدية من الالهـام والخيال ، وتهز القلوب بألوان مـن الحب والعواطف والصبابات ، وتثير في الخواطر افانين مـن صبوة السنين وجميـل الذكريات .

كلمة تدل على طبيعة هي بين طبائع البلدان كطبيعة الربيع بين الفصول والايام . صاغها الله آية سامية مـن فرائد آياته ، ومثلا رائعا من بدائع آثاره ، فجاءت كما يشاء الفن الطبيعي الرفيع عروس الكون وغرة البـلاد ، وفتنة الافاق ودمية الجمال ، ومثـال الحسن ومصدر الروعة ، ومجلى البهجة واغنية الوجود . طبيعة ترسل النسمات انفاسا موسيقية تؤخذ شعرا رقيقا ، وتلفظ الحانا حلوة معبرة طبيعية هي الشعر ، فلو لم تجد مـن تلهمه النطق بها لكانت افصح الشعراء .

طبيعة تفرض نفسها على الناس فرضا ، حتى من لم يكن في طبعة الشعر او ملكته .. ففـي رباها المشرقة ووديانها المنبسطة وانهارها الدافقة ومعانيهـا الباسمة ، وآفاقها الحالمة ، واجوائها الباسمة ، وخمائلها الجميلة ، وادواحها الظليلة وفي رفوف المروج كالاهداب على عيونها العذاب والتفاف انهارها كالاساور على معاصم الهضاب ، في كل ذلك او في بعضه ما يفتح مغالـق النفس ويبعث فيها البهجة والانس ، ويشيع فيها بسمة الامل ويقظة الشعور وفي كل ذلك او في بعض ذلـك مـا يستوقف الشاعر فيقول له : انا الخيال والجمال والسحر والالهام فاستوحني وما يمسك بغير الشاعر فيقول له انا الشعر فكن شاعرا .

لهذا لا تعجب يا عزيزي اذا سمعت ان هذه البلاد قد عرف اكثر اهلها ان لم نقل جميعهم معترفين بالشعر يقولونه وينغمونه ، وبالحب يقدسونه . انوثـة تلـك الطبيعة يا صديقي ، قد انطقت النساء فكيف بالرجـال كانوا اذا هب النسيم ، او دار ... في كف ظبي رخيـم او تبسم عن شعاع ثغر نهـر او ترقرق جفن او خفـق بارق ، او لم طيف طارق ارسلوا الشعر بين رقة الهواء وجزالة العربية .. فجاء كما قال شاعرهم ابن وهبون .

رقيق كما غنت حمامة ايكة وجزل كما شق الهواء عقاب .

وما اكاد استرسل في حديثي حتى شعرت وكأني به يقاطعني بقسمات وجهه التي تنم عن غبطة وحبور حيث بش وجهه وانفرجت اساريره لهذا التعريف الادبي المعبر واردف قائلا : كان السؤال الذي يدور في خلدي ويعتمل في خاطري هو ان تحدثني ولـو ببضع كلمات وبتلـك الشفافية في التعبير ، والرقة في التصوير عـن ربـوع شآمنا ومتنزهاتها المخملية وحدائقها الغناء ، ثـم ماذا ؟ برداها ذينك النهر الرقراق ..

بيد انني اللحظة عوضا عن اجابته عما يوده منـي اوقفت حديثه لان القريحـة جفت .. ونضب الخاطـر وشح الفكر وجمد الخيال وتأت عن كلينا لحظات الرقـة والصفاء والابداع ، فودعت صديقي في الحال ، وتوجهت على التو الى داري انشد الراحـة النفسية والاستجمام الفكري .. على امل اللقاء به مرة اخرى .

★ ★ ★

بادرني بالتحية فجأة وباغتني علـى حين غـرة ، فلمست منه روح الصديق الاديب الـذي يثير في نفسي شتى الاحاسيس والعواطف والاشجـان والانفعالات .. نعم هو الآن وليس غيره . فلما اجد بعـد سواه انسانا يسبر اغواري ويدغدغ عواطفي ويثير اشجاني فكان لـي نهلة باردة في هجير الحياة المحرق ومـا كدت اعيش مع تلكم السحابة الفكرية العابرة التي تكاد تنقشع الا قليـلا حتى بدهني صديقي قائلا : سألتك امس عـن الاندلس فنقلتني باسلوبك المعبـر وفكرك المصور الـى اجوائها الرومانسية الحالمة وطبيعتهـا الوادعـة ، وربوعهـا

الساحرة ، ورحنا نحلق معا على اجواء الحب والشعر والموسيقى والخيال ولكنني كما ذكرت رمت سؤالك عن ربوع الفيحاء الرائعة الجمال التي افتخر بها ايما افتخار واشمخ لذكرها واشراب لذكراها واحبها من كل قلبي حبا جما شغفا .. ولم لا وهي بلادي التي نشأت وفيها ترعرعت وبين جنباتها عشت احلى ايام حياتي وبها قضيت شرخ شبابي ومقتبل عمري وريعانه .

والان اريد ان اسألك هل تعرف الهامة ودمر او سواها من الوادي الاخضر الجميل الذي ينساب من خلاله وينحدر من ربوعه بردى وفروعه .. فاجبته ووجيب قلبي يضرم بين جوانحي ، كيف لا اعرفها يا صديقي وقد قضيت فيها شطرا من حياتي الجامعية بله اويقاتي كانت هناك سرقتها من يد الزمن وهو عنا في غفلة بلى يا عزيزي الهامة تلك الربوع الساحرة الاخاذة التي اذا ما عنت في خاطري ورن مسمعها في اذني دق ناقوس الذكرى في هيكلي ورحت اعيش في عالم الذكريات تعصف في قلبي وتهز كياني وتغمر جوانحي وهل في الدنيا احلى من الذكرى وعالم الذكرى انتي كلما لاحت في خاطري وجابت في روحي اجدني ترنو اليها نفسي وترمقها عيني ويهفو لها قلبي . وهل الحياة باجمعها الا تلك الهالة من الذكريات حلوها ومرها لذيذها وعلقمها . عفوا يا صديقي فالحديث ذو شجون – كما يقال – والذكرى كما تعلم ملازمة للحياة واحداثها .

لقد دار بنا الحديث مداره ونقلنا الى عوالم اخرى ولكن .. ولكني اردفك الحديث عما كنا في صدده الهامة – وربابها الحلوة الهادئة .. تلك الناحية المنعزلة والقرية الجميلة ذات المناظر البهيجة والهواء الطلق والنسيم العليل هناك وفي مرتفع قليل تحيطه الاشجار الباسقة ويسمره هدير المياه وتغريد الهزار تقوم هامة رائعة على ضفتي بردى ذلك النهر الجميل والذائع الصيت بما يحيي من ارجاء في الغوطتين .

ما ان حططت رحالي ووطأت قدماي تلك البلدة الصغيرة للمرة الاولى فأبصرت اناسا ينم مظهرهم على حسن الطوية وطيب النية ويكتنف الجو صمت يدل على الحال الطبيعي الذي لا تشوبه جعجعة المعامل وقعقعة الآلات واصوات المدينة الصاخبة المجلجلة وهذا السكوت انما يروق النساك والشعراء وارباب الخيال والذوق الرفيع .. فخلت نفسي اني ذلك المحظوظ .

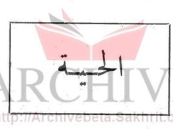
احدثك الان يا صديقي عن هذه القرية الوادعة وانا اتصور نفسي جاثما على ضفة بردى في صباح احد الايام المشرقة وانا اتأمل هذا النهر الجاري الصاخب وعلى جنباته الحور المشوقة بقدها الاهيف ودلبها الحاني على حافة النهر يزيده رونقا وبهاء والشمس في تلك الايام شاحبة تتنبه على صفير العنادل وتغريد البلابل والحساسين ولا تلبث في المساء ان يحتضنا الافق بأناة ورفق فأراها ترمقني بطرف كليل قد علته حمرة الشفق اللازوردي فما تفتأ حتى تسدل عليها ستائر المغيب لتستجم من عنائها الى صباح مقبل .

ونظرة الى الطبيعة في فصل الخريف نراها قد راحت تنفض عن اذرع جواربها الحسان لبوسها الورقي البالي فتبدو هذه الاغصان وكأنها ضارعة الى السماء وهي تنشد ما يسليها الخريف من حللها الزاهية التي ازدانت بها في ربيعها الراحل على ان وريقات الحور المصفرة تتألق لمانا كلما اختلس طرف الشمس اليها النظر وناعورة امامي صغيرة جميلة المنظر جذابة المرأى تدور دونما كلل او ملل دام النهر في سيره وجريانه تملأ الدلاء من ماء غدير لتسقي الحقل المجاور واراها وهي تحطم قرون مويجات طائشة راحت تتدافع على ازالة تلك الدلاء من طريقها التي لا تلبث ان تعيد كرتها لتأخذ نصيبها من الماء ثم تعلو وكأنها تسخر من هذه الامواج العبيطة التي لم تدرك حتى الان ان محاولاتها في دحر هذه الدلاء من مجراها تذهب ادراج الرياح ، والنهر في زمجرة صبيانية غضب ثائر لا يهدأ لترنيم طيور ولا لخشخشة امواج او حفيف اشجار ، بل اراه في حدة متزايدة وعناد صلب وقد ظهر على شدقيه زبد متناثر وهو يرعد ويندد بتلك الجنادل البليدة التي قد تطفلت واعترضت طريقه ، ولكن سريره الضيق لا زال يصده عن هذا المجون ويردعه عن الميوعة واجتياز الحدود .

آه .. الامتحان يقرع الابواب قلبي وها هو ذا الكتاب يجذبني اليه بلهفة وشوق شديدين ليعود عيناي ان تسمران في صفحاته الطوال المنهكة وقد سلب مني تلك النشوة حينما كنت استمع الى حديث الطبيعة المشوق الذي ملك علي مشاعري وهواجسي ومسامعي بل كلي .

وما هي عيشة مضت في ذلك السكوت الرهيب الا وانبعث شعاع ذكي على تلك الروابي والهضاب تعكسه قطرات الندى فتراها كاللآليء في لمانها البديع ، وكأنها تخاطب بعضها بلغة الضياء ، علت اصوات الديكة والانغام السائمة ، وغرد العندليب بصوته الساحر فاجابه الفه وردد اصوات المياه والنسيم واوراق الاشجار حتى قضينا وطرا من الموسيقى الفطرية الطبيعية وراح كل يسعى وراء حاجة غذاء للجسم بعد ان اعطى الروح غذاءها ، شعرت بهذه الحركات وتأثرت بهاته العواطف واشجاني لون الورق وقد اصطبغ بلون اصفر مشيرا الى ما به من سقم فتذكرت قرب يومه وجزعت عليه وتأثرت على فراقه لولا ان املا برجوعه في العام المقبل عللت به نفسي وقلت ان لهذا الخريف ربيع ولكن ليس لخريفي ربيع .

حلب واصف باقي





بقلم محمد حسين عبد المجيد

تحت ظلال عريشة الكرم الممتدة امام الدار استندت العجوز الى جذع نخلة نخرة ، وارتمى رأسها على صدرها ، وراحت تغط ـ ساعة القيلولة ـ غطيط المتعب المكدود ، والنسمات الحارة تنفلت من الهجير ، منسابة حيث ظلال السقيفة لتبترد ... والعجوز يشرق وجهها وئيدا ... وفيما هي منعمة بغفوتها اذ بها تستيقظ فجأة ، وتهرول حيث زوجة ابنها التي اصابها الذعر حينما سمعت خوار البقرة المتلاحق ، فهرعت اليها ، وانطلقت تصرخ مستنجدة لدن ما رأتها تخرج لسانها ، وتبول بلا توقف ، وقد جحظت عيناها ومسها الذعر الناتج عن الم مبرح ...!

وادركت العجوز زوجة ابنها الواقفة في حلق باب الحظيرة ، فدفعتها بيدها المعروقة القابضة على هراوة غليظة وهي تقول في لهفة :

ـ أي داهية حلت بك يا فريدة ..؟! ولم تخور البقرة هكذا ..؟ لقد كانت نائمة تجتر بخير ..!

وتحسست البقرة في لهفة ، وشملت جسدها المرتعش براحتها المعروقة ، التي لا تباري في علاج لدغات العقارب والثعابين ، وتوعك الانسان والحيوان على السواء ، ثم التفتت الى زوجة ابنها التي احضرت البصل والشيح ، وصاحت فيها زاجرة :

ـ لقد لدغتها الحية يا فريدة ، وليست بها وعكة كما تتصورين ..!

وجذبتها بعنف لتريها الاورام التي بدت للعيان في وجه ابقرة ، ثم اعقبت قائلة :

ـ هيا .. اطلقي الشيح في الحظيرة ، وكل الدار ... ولطالما قلت لك ذلك ولكنك كسولة ..!

وانبعث وميض قوي من عينيها ، راحت ترسله في كل ركن من الحظيرة ، وهي تتمتم قائلة :

ـ لقد تهاون عمك تهامى ، ولو كان حازما لجد وراءها ليلة ان سمعها ، وهي ترسل فحيحها بينما كان مسترخيا بجانب الجدار ، ليستمتع بغفوات الصيف ، ونسماته الملطفة بعد حر النهار .. واغلب ظني انه لم يدرك كنه ذلك الفحيح ، وان دل ذلك على شيء فانما يدل على عدم الحنكة .. بخري بالشيح كل الدار ، واحرقي معه بعضا من الشعر ..!

وخرجت فريدة من الحظيرة المعبأة بالدخان ، وقد حملت معها مدفأة من الفخار عليها بعض من الجمر والشيح المحترق .. بينما العجوز تواصل حديثها قائلة :

ـ لقد تهاونت يا تهامى ، ما في ذلك شك .. ولو كنت هنا في تلك الليلة لكنت قد بحثت عنها في كل جحر ، ومددت يدي في كل شق ، ولم اكن لاهدأ الا بعد ان اطبق عليها بقبضة من حديد ..!

وتسمرت عيناها عند احد الاركان ـ فجأة ـ ثم دفعت بهراوتها في شق ، اندفع اثر ذلك جسد سحلية ، راح يضطرب على الروث الى ان سكن ..

ـ آه .. يا سائبة .. اتصرخين من سحلية كانت تطل من الشق عندما خنقتها رائحة الشيح والشعر المحترق ..؟ كل هذه آفات يجب القضاء عليها .. هل انتهيت من تبخير كل مكان ..؟!

ـ بلى ..! ها هو عم تهامى ..!

ـ انظر يا تهامى لترى ماذا فعلت الحية التي تهاونت في امرها ..

وبدات من فورها تشرط موضع عضة الحية بموسى حادة ، وراحت تدلك جسد البقرة في اتجاه العضة لتفرغ السم الذي كان يسري في جسدها ، وهي تدمدم في غضب ، واخذت تمتص الجرح بفمها ، وتبصق من حين لآخر ، وهي لا تفتأ تنحي باللائمة على العجوز الذي تهاون ، بل افرط في واجبه ليلة ان هرعت العجوز لتنقذ ابنة عمها التي لدغتها عقرب في قرية عبر الشاطىء الآخر من الترعة ..

وصاحت محذرة ابنها والعجوز لدن ما تناولت مسمارا محميا ضخما من نار مضطرمة ، ثم اضافت وهي تصوب رأس المسمار المتوهج الى موضع العضة :

ـ انا ما تهاونت قط في واجبي نحوكم ونحو الارض التي لا ازال أكد واكدح فيها رغم كبر سني ، اني اعمل فيها باظافري وجهدي لتخرج النبت والزرع ، ومع ذلك لم انس الآخرين ، آخذة في اعتباري انني أم لكم جميعا ..!

وصوبت نظراتها الى تهامى ، وهي تتصبب عرقا .. ورائحة الجلد المحترق تزكم الانوف ثم قالت :

ـ انطلق يا تهامى ، وابحث في كل شق ، ومد يدك في كل جحر .. هيا وسألحق بك عندما يطمئن قلبي على البقرة ..

ورمت ابنها بنظرة شزراء حالما راته مبديا اشمئزازه وتقززه من رائحة الجلد المحترق ، ثم قالت ساخرة وهي تدفع بالمسمار البارد الى النار وتأخذ غيره :

ـ الى متى ستظل مائعا ..! لقد

كان حريا بك ان تكون في موضعي الآن لتنجز ما اقوم بـه يـا منعم ، ولو كنت قد دعكت بانفك في الروث منذ الصغر لما ابديت تقززك عـلـى هذه الصورة المنفرة ..

وعاد اليها تهامى ، وهي قابعـة ترنو - في صمت - الى البقرة التي اخذت تتشمم راحتها الممدودة لها بعود اخضر .. علـى حين ابتدرها بقوله :

- لم اعثر لها على مكان.. ولعلها تمكنت من الاختفاء تلك اللعينة التي تنالنا بالاذى من حين لآخر ..!

- اغلب ظني - يا تهامى - انهـا هي التي كنت قد اصبت مؤخرتهـا - منذ اعوام - فانقطع ذنبها وهـي تلوذ بالشق .. ولو اصبنا لكنا قد هدمنا الجدران .. يومها .. غـير انـك ضحكت باستخفاف عندمـا سألتك ذلك .. وهكذا اثنينا عـن مواصلة تعقبها ... وها هو دخان شرها يلوح في الافق امام اعيننا ..!!

- ومن ادراك انها هـي بعينها التي انقطع ذنبها ..!؟

- انها رعناء خبيثـة ، يمكنني معرفة اثرها ... اتذكر تلك الافعى السامة التي شدخت رأسها عندمـا نلت منها ، بعد طول نضال معها ..؟ صحيح اننا لـم نقتلها .. ولكـن الضربة آلمتها ..؟ ووجـدت اننـا بالعصي واقفين لها ، فما كان منهـا الا ان القت بنفسها في اليم ..

ونهضت واقفـة ويدهـا قابضة على هراوتها ، التي راحت تدفع بها في كل صدع وشق ، صابة جـام غضبها على تلك الحية التـي اقلقت من في البيت جميعـا ، وروعتهم بشناعة فعلتها ، اذ افرغت سمهـا الرهيب في جسد البقرة التي منهـا يعيشون ، كما فعلت من قبل فـي ثور كانوا يقتنونه للتلقيـح ، فقتله سمها الزعاف في حقـل البرسيم الحجازي ..!

وفي عناد راحت العجـوز تفتش كل ركن ، دافعة بعصاها في سقف البيت تارة وعرش الحظيرة اخـرى وذلك كلما لاح لها مـا يتخفى بين البوص والحطب المكـدس عـلـى الاسطح ..! وفيما هي تجد باحثة، اذ بها تقع على اثـر اكثر وضوحا للحية الخبيثة مطبوعا عـلى الروث الرخو .. فصاحت وقد روعها ذلك الاثر الدال على عظم جـرم الحية الرهيبة ، وبه يمكن للعجوز تحديد طولها ..

- أسرع يا تهامى ، ماذا تـرى الآن امامك ..؟ لقد خدعتنا ؛ وكان في ذلك استهانة بخطرها .. لقـد



محمد حسين عبـد المجيد

●

استطالت ، وعظمت وها هي تعمل سمها فينا في رابعة النهار ..!

واشتد غيظها وارهبها ما راته ، فراحت تنقب، وقد تجمع من حولها الجيران .. على حين اختبأت الحية في صدع يكتنفه الظلام وجعلت تطل بعينين براقتين منهما يلوح الغـدر والشر معا !!

وحل الظلام ، ففترت الهمة في البعض وكلت الاعين والايدي .. على حين باتـت العجـوز ، واليقظـة لا تبرحها ، والنوم لا يجسر علـى مس عينيها الكليلتين ، حتى انهـا كانت تفزع - مـن حين لآخـر - وتنهض ضاربة صدر الظلام بيمينها وهي تدفع هراوتها ، حيث تصدر اقل نأمة من السقف او الجدران..!

وفي هداة الليل استرخت العجوز وركنت ظهرها الـى الجدار فاغفت واخذت تغط في النوم وذهنها مسرح لاحداث جسام .. ومـا لبثت ان نهضت مذعورة ، وكأن النوم لـم يداعب جفونها قط .. وشرعت في تجوالها في الحقل كدابها ، ثم عادت لتلقي نظرة داخل الـدار بعـد ان جاست من حولها واخذت تصلح من وضع الاطفال على الفراش وهـم مستسلمون لنـوم هنيء واحلام بيضاء فيها البراءة والطهر ، ممـا جعلها تنحنـي بقامتها الفارهـة وتمس بشفتيها الرقيقتين وجناتهم الصغيرة ، وتبسط بكفهـا المعروق ملابسهم المنحسرة عـن اجسادهم ، ثم قفلت عائـدة ، حيث استرخت بجانب الجدار وهي ترنـو الـى النجوم المتألقة في السماء الصافية بينما يسترسل تهامـى في غطيطه المنتظم ، وهو نائم وصفحة وجهه المغضن تستقبل السماء .. على ان غطيطه قد انقطع عندما اخذ يتقلب على الحشيش الاخضر البارد وانفرج جفناه ليرى العجـوز قابعـة بجانب الجدار .. وضوء القمـر الشاحب يستقر عليها ، وقـد سقط راسها على صدرها .. ومن لا يعرفها يقول انها فقدت الحياة .. غير ان تهامى العجوز ابتدرها قائلا :

- الا ترقديـن لتريحي عظامـك ايتها الساهرة ...؟

وما انفك ان ارتفع غطيطه مـن جديد ..!

بينما اخـذت العجـوز تنبش التراب بعود مـن القش .. وعينها الغافية ترمق العجل الرضيع الذي يرقد من بعد على الحشائش ويجتر، ثم يتوقف من حين لآخر كما لو كان

غازليني

غازليني بالمقلة النجلاء
وتمادي ما شئت بالاغراء

أنا أهواك يا حياة حياتي
يا سمائي القمراء يا نعمائي

انما الحب بالعذاب لعذب
عذبيني بالله .. يا سمرائي

كلما عينك الكحيلة ترنو
حدجتني بنظرة خرساء

أفهمتني الذي تريد وتهوى
أترى غير موعد ولقاء

مدية في العيون تذبح قلبي
دون اهراق قطرة من دمائي

كل شيء أحبه فيك حقا
كل باد وكل ما في الخفاء

زحلة ـ لبنان
رياض معلوف

يحس الخطر يحدق به ..!

وانتفضت العجوز مذعورة لدن ما صدم جدار اذنيها خوار فجائي للعجل الرضيع ، الذي وثب متألما في الهواء حينما لدغته الحية الشريرة ..!

ـ تهامى .. تهامى ..!

شق صوتها صدر الظلام ، فتمزق السكون من حوله، وانهارت رهبته تحت اقدام الصوت القوي المنبعث من الام الساهرة لتدرىء الخوف والخطر عن اولادها .. والعصا مشرعة في يدها والمصباح في اليد الاخرى على حين هب تهامى .. وقد لدغه الذعر ، غير حانق على الام التي انتزعته من لذيذ نومه ..

ـ لقد لدغت العجل يا تهامى .. لقد لمحتها في ضوء القمر .. وهي تندفع الى كوم الحطب ..

وصوبت عينيها الى كوم الحطب، وهما تشعان بغضب ملتهب ، ثم صاحت قائلة :

ـ لتكن هذه آخر لدغاتك ايتها الحية الخبيثة ..

وبحزم قاطع صاحت فيمن حولها :

ـ الي بصفيحة الجاز ... اسرعي يا فريدة ..

وافرغت ما في الصفيحة من بترول ، واشعلت النار في الحطب، فارتفعت السنة اللهب وامتدت حيث احالت المكان المظلم الى نهار.. ودارت العجوز حول النار والكل قد استيقظ واخذ ينحو نحوها ، فبدأ الجميع كما لو كانوا يقيمون طقوس حرب لا هوادة فيها ..!

ـ لن تفلتي هذه المرة حتى لو ادى ذلك الى .. الى ..

واتت فريدة بصرخة ـ هائلة ـ الجمت العجوز ، وجعلتها تندفع نحوها

ـ ليست الحية وحدها يا أماه ، لقد مرقت من هنا .. على حين ثعبان آخر يتبعها ..

واحتضنت ابنها الصغير الذي يصرخ من فرط الخوف ..

ـ اجروا يا جماعة .. وانت يا تهامى ، لا بد من القضاء على هذه الحية الهائجة ، والنار التي لم يخب اوارها بعد ما تزال مستعرة .. انها هنا تحت هذا الصندوق..

وصاحت في جارتها محذرة :

ـ اياك والتهاون .. بل عليك ان تستعملي عقلك ، وبسرعة .. وانت يا أم سعيد اضرمي نارا حامية والقي فيها عددا من المسامير ..!

ودعت احد الجيران وقد اعتمدت عليه لامتصاص السم من العجل الملدوغ .. بينما هي ومن معها يجدون في محاصرة الحية الهائجة بهراواتهم ..

ـ تقدم يا تهامى واقلب الصندوق بحرص بالغ ..

وشرعت عصاها تأهبا للانقضاض على الحية حالما تظهر ..!!

ـ ما هذا ..؟ ماذا أرى ؟

وتقهقر تهامى امام الافعى ، وصل غريب ، بلغ به الانتفاخ الى الحد الذي جعله يتخبط كالاعمى .

ـ من هذا الذي القى بهذا الصندوق اللعين هنا ..؟

ـ ليس هذا وقت المناقشة والحساب يا تهامى ..!

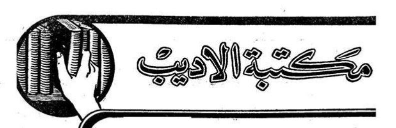
وانفلتت الحية من تحت الصندوق والصل وراءها يتخبط .. بينما صاح البعض مشدوهين لعظم الثعبان وضخامته .. على حين صرخت الام منبهة :

ـ اضربوه .. اضربوا ضربة رجل واحد .. ولا يبالي احد بما يحدث يا رجال ..!

وبضربة محكمة وقويةانقضت الام ومن معها على الحية والصل العتيق معا ، فانسحقت راساهما ..

ومع اولى تباشير النور المنبلج من الفجر الوضيء حملت الام ومن معها الحية القتيلة والصل والقوا بهما في اليم ، فجرفهما التيار ..!!

القاهرة محمد حسين عبد المجيد



مطالعات وذكريات

تاليف العوضي الوكيل ـ ٢٩٦ صفحة ـ الهيئة العامة للكتب بالقاهرة

الكتاب ـ فيما يقول المؤلف ـ احاديث القاها على الناس من محطة الاذاعة بالكويت .. وقد حرص المؤلف ـ فيما يقول أيضا ـ ان يتوخى البساطة في عرض هذه الاحاديث لتحمل التسلية الى جانب المتاع العقلي .. والحق ان الشاعر الاديب قد التزم بما قال .. وحقق ما اراد .. والحق ايضا انه قد فعل خيرا حين جمع هذه الاحاديث بين دفتي كتاب ، ليقراها من لم يستمع اليها عن طريق المذياع ..

وقاريء الكتاب يحس بالاحساس الذي اراده له المؤلف ، فالى جانب الامتاع العقلي يحس بالتسلية ، والمطالعات مع انها جادة عميقة الا ان فيها ايضا كثير من التسلية والمتعة .. والذكريات على الرغم من انها جادة ايضا ففيها كثير مما ابعث الملل عن النفس ويذهب عنها السأم ..

وقصارى القول ان الكتاب يجمع بين دفتيه المتعة العقلية والوجدانية ، وحين تقرأ الكتاب تعيش مع المؤلف بعقلك وقلبك .. تطالع معه ما يطالع ، وتستعيد معه ما يستعيد من ذكريات ...

واول ما تقع عليه عيناك قصة حب عجيبة بين مي ومحبيها .. مي احبها كثيرون منهم العقاد والمازني والرافعي واسماعيل صبري وسلامة وموسى .. وغيرهم .. لكن ماذا عنها هي لم تحب احدا ، او لعلها لم تفصح عن حبها لاحد .. وان كان بعض الادباء قد حاول الزعم بانها كانت تحبه .. لكن مي ذهبت دون ان تقر بشيء ، او تنكر شيئا، ولعل ذلك ما جعل في قصة حبها كثير من الغرابة والعجب ... وفتح بذلك الباب للسائلين والباحثين .. بيد ان قصة حبها ستظل واحدة من قصص الحب الغريبة ، التي قرأنا وسنظل نقرا عنها ... فكيوبيد لا يزال يرمي بسهامه فيصيب قلوب البشر ... وكلنا نطيعه ، بعضنا يعترف بقلبه وينكر بلسانه ، وبعضنا يعترف بقلبه وبلسانه .. لكننا جميعا ، ان انكرنا او اعترفنا تصيبنا السهام .. فبدون ان تصيبنا ، ودون ان نحب فلسنا احياء ...

وياخذ المؤلف على بعض من يزيفون التاريخ عن طريق ما يملاون به كتاباتهم من حوادث لا تمت الى الواقع بصلة من باب أطراف القراء والترويح عنهم ، دون ان يتحروا الدقة والامانة العلمية فيما يكتبون..

ويبدو جليا أثر هذا في الاجيال القادمة حين يجيء المؤرخون فيكتشفون التناقض بين حياة من كتب عنه وما كتب فيه .. ومن هنا تكون الخطورة .

ويحدثنا المؤلف بعد ذلك عن ابن مفرغ الحميري الشاعر الاموي وعن ابن القرية الاعرابي الامي العظيم ، الذي يروى ان الحجاج ساله : العرب تزعم أن لكل شيء آفة فما آفة الحلم مثل الغضب ، قال فما آفة الحجاج بن يوسف فقال ابن القرية : اصلح الله الامير لا آفة لمن كرم حسبه وطاب نسبة وزكا فرعه .. فقال الحجاج : امتلات شقاقا واظهرت نفاقا ، ثم امر به فضرب عنقه وانتهت بذلك حياة الرجل .. ونظرا لغرابة القصة فان كثيرا من المؤرخين ينكرونها معتقدين ان شخصية ابن القرية شخصية خرافية ...

ولا ينسى المؤلف ان يحدثنا عن المتنبي او يترك المجال للمتنبي ليحدثنا عن نفسه .. فيحدثنا عن عظمة شاعريته وتفوقه على من يقولون الشعر غيره .. ويتضح ذلك من الشعر الذي اورده المؤلف .. ولعل الحديث مهما طال عن المتنبي فلن يتوقف يوما .. ذلك ان المتنبي الذي شغل الناس وقتا طويلا .. سيظل يشغلهم طوال الوقت ...

ويترك المتنبي ليحدثنا عن رواد الشعر في الكويت ، عن فهد العسكر وخالد الفرج وصقر الشبيب ... فيقول عن فهد العسكر بانه وان كان متشائما الا ان تشاؤمه تشاؤم فنان .. وانه اقرب الى وجدان القاريء منه الى عقله ، اما خالد الفرج فهو شاعر مفكر او ان التفكير يغلب على شعره ، والشاعر صقر الشبيب فيه لمحات من ابن الرومي كما يقول المؤلف ..

وفي الكتاب كثير من الذكريات المتعة المسلية مثل شبيبة وكهولة، من عبث الصبا ، شعراء يتهمون ويحاكمون ، حفلة أزاحة الجبة ، رثاء الحيوان ، وحديث عن الحمار ، واخر عن الكلب ...

وفيه وقفات مع الجاحظ ، والحجاج بن يوسف ، وشاعر لم يذكر المؤلف اسمه ، ورجل عالجت الاقدار حظه ...

وفي الكتاب ايضا حديث عن الشعر التائه الذي يدعى كل انه له، ويظل هكذا لا يعرف احدا على وجه التحقيق من هو صاحبه نظرا لاختلاف اقوال الرواة فيه ... ثم حديثا عن الشعر الحلمنتشيي وهو مجموعة من الازجال كان يكتبها حسين شفيق المصري وبيرم التونسي ..

ولا يفوت المؤلف ان يحدثنا عن محمود رمزي شاعر الموشحات ، وعن الارتجال في الشعر ، مفرقا بين البديهة والارتجال ، الى حديث عن المدح في الشعر ..

وينقلنا الشاعر المؤلف الى احدى ندوات الاستاذ العقاد ، رحمه الله ، لنستمع الى بعض الاسئلة التي كانت توجه اليه .. ونعرف ماذا كانت اجابة استاذنا العقاد عليها ...

ولعلي أكون في هذه العجالة قد اعطيت القاريء فكرة موجزة عن الكتاب تحفزه الى قراءته ، وتدفعه الى مطالعته ، فهذا ما قصدت وارجو ان اكون قد وفقت .

القاهرة — راضي حكيم

•

اغلال القلب

مجموعة قصص ـ تاليف ابراهيم المصري ـ ١٦٠ صفحة ـ من مطبوعات دار المعارف بالقاهرة

ليس فن القصة هو فن سرد الحوادث والوقائع بل هو محاولة ابراز اصولها واسبابها والا كانت القصة اشبه بمحاضر البوليس .

فالروائي الفنان هو الذي يذهب الى ما وراء الحادثة ، ويكشف ما استطاع عن بواعثها العميقة ثم يحلل تلك البواعث ويصورها في دقة تمثل الواقع النابض الحي .

وكلما كان القصصي وافر الثقافة جم التجارب واسع افق الخيال ، استطاع بثقافته وتجاربه وخياله ان يبدع الواقع في صورة تقنعنا بصدقه وبما يشتمل عليه من حقائق انسانية خالدة .

وانا لنحس هذا اتم احساس وابلغه في شتى القصص التي يبدعها قلم الكاتب الروائي الكبير الاستاذ ابراهيم المصري ولا سيما في مجموعته القصصية الاخيرة « اغلال القلب » .

ففي هذه المجموعة نحس متابعة متانية وحارة لاصطخاب العواطف واحتدامها داخل النفس البشرية ، كما نحس تفطنا كاملا لبواعث الاحداث فيها وتأثر بعضها بالبعض الآخر ، وذلك في اسلوب عربي جزل وممتع ، يعبر عن اخفى الدقائق الوجدانية ، وتتجاوب عباراته كما تتجاوب الالوان المتعددة المتباينة متسقة ومنسجمة في لوحة مصور متفوق ممتاز .

فقصة « اغلال القلب » هي قصة شاب ظل سجين خياله الغرامي تكبله اغلال حب عنيف قاهر نحو امرأة متزوجة تموه عليه الحب كي تثير الغيرة في نفس زوجها المنصرف عنها دائما الى هوى الغانيات . وترى شقيقة تلك الزوجة وهي فتاة بائسة مسكينة لا حظ لها من جمال فاتن ، تحب ذلك الشاب دون امل وتشفق عليه وتحاول جاهدة اقصاءه عن اختها التي تحتقرها لفقرها والتي تعذب الشاب وتغرر به . والعجيب في هذه القصة ان اغلال القلب تطوق جميع افرادها . فالشاب يحب المرأة وهي لا تحبه ، وزوج المرأة يحب الغواني ولا يحب امرأته ، وشقيقة الزوجة تحب الشاب والشاب لا يحبها ولا يكترث لها . فكل منهم يتخبط في حلمه وخياله دون ما بارقة من خلاص ، وكلهم يدور في فلك ذاته ولا يرى الآخرين الا من خلال ذاته وحدها ، فتخدعه ذاته عن الحقيقة وتستحيل الى سجن يجاهد للفرار منه ولكن على غير جدوى . فشخصيات هذه القصة هم فرائس خيالهم يستبد بهم ويعميهم عما فيه حريتهم وخلاصهم .

فالقصة تعبر عن عارض نفساني عميق مؤداه ان مأساة الانسان في جانبها الوجداني انه كثيرا ما يخلع عواطفه ويركزها على انسان آخر متوهما ان ذلك الانسان يستجيب اليه ويبادله العواطف نفسها في حين انه في الواقع انما يحيا حياته هو ولا يستمسك الا بخياله هو ولا يعرف غير غايته هو .

فالانسان باندفاعه وراء خياله يعصب عينيه بيده وكأنه يجد لذة خفية في ان يكون اعمى عن رؤية ذاته ومن يحب وفي ان يعذب نفسه عذابا مريرا لا طائل من ورائه .

ذلك هو الجانب الرائع حقا في هذه القصة التي صاغها المؤلف صياغة محكمة وعرف في استاذيته المعهودة كيف يحبك حوادثها ويصور ابطالها وينفذ الى مكنون نفوسهم ويجلو لنا ما يعتمل فيها من امل ويأس ، وما تسبح فيه من نور هو الظلمة ومن ظلمة تحسبها نورا ، ومن شقاء تخاله سعادة ومن سعادة هي الشقاء بعينه .

فالارتفاع الى هذا المستوى الانساني هو الذي يميز فن ابراهيم المصري في قصة « اغلال القلب » وفي سائر قصص المجموعة التي يضفي عليها فوق ذلك الوانا مصرية شائقة تتمثل بصورة اوضح في قصة « الشيخة مندورة » .

وتدور حوادث هذه القصة حول فتاة عانس اقرب الى الدمامة منها الى الجمال . يئست من العثور على زوج فاتقد فيها الشعور الديني ووجدت فيه عزاءها . فاتشحت بالسواد من قمة رأسها الى اخمص قدميها ، وعكفت على الصلاة والصوم والتطلع الى حج بيت الله الحرام . فخلع عليها الاهل والجيران لقب الشيخة مندورة .

وفجأة اقبل عليها كهل راقه منها صفاء نفسها . فطلب يدها وجاءها ذات يوم باعواد ريانة من نبات التمر حنة رأت فيها الفتاة رمز الحب والامل المحقق وتنسمت منها نفحة من نفحات جنة الحب والزواج التي طالما هفت اليها نفسها المحرومة الظمآى .

ولم تكد تلك الفتاة البائسة تشعر ان ذلك الكهل قد اصطفاها حتى ازدهرت فجأة وتألق فيها جمال طارىء عجيب . فذهلت واستكبرت وزهاها ما تحولت اليه . فلم تعد تكترث للكهل الذي أيقظ فيها انوثتها ، ومضت ترمق بعينها شابا جميلا من اقاربها كان قد انجذب

الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل. ل.

●

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل. ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت أم لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

الى سحر جمالها الطارىء هذا . فاسرعت وانشبت فيه مخالبها ، وجعلت تشتد في الغيرة عليه وفي الاستبداد به والرغبة في حيازته حيازة مطلقة . فرأى فيها الشاب صورة وحش لا امرأة . فراغ منها وانسحب من حياتها فجأة واختفى . فطاش صواب الفتاة ولم تشأ لفرط ما اضطرم في نفسها من كبر ان تسعى الى الشاب واعتقدت انه لا بد عائد اليها . ولكنه لم يعد بل كان الكهل العاشق المسكين هو الذي عاد ... عاد يلاطفها ويتودد اليها ويطلب مع ذلك كله يدها ويحمل اليها ذات مساء نفس اعواد التمرحنة . فتناولت الاعواد وتنشقتها فلم تحس لها اي عبير . لا امل ولا جمال ولا نفحة من نفحات جنة الحب التي كانت في البداية قد اذهلتها . فدفعت الكهل عنها وصرخت فيه : « ابدا .. لن اتزوج ابدا » . فتطلع اليها الكهل مبهوتا وخيل اليه انها قد جنت !

وعادت مندورة الشيخة الى منسكها ، واتشحت بالسواد من قمة راسها الى أخمص قدميها ، وعكفت على الصوم والصلاة وحياكة الجلاليب والفساتين لجاراتها ، كي تجمع قرشا الى قرش وتحقق الحلم الامثل الغالي الذي اصبح وحده غاية حياتها ، وهو ان تحج الى بيت الله الحرام وتزور النبي الحبيب وتسعد .

والواقع ان هذه القصة طرفة . فهي تجمع بين اللون المصري والهدف الانساني في تلاؤم وتكامل وفن خالب بديع . وهي تصور من خلال تلك الالوان المصرية الزاهية نزعة المرأة التي لم تكن تشعر ان في مقدورها ان تظفر من متع الدنيا باي شيء ، فلما اقبلت عليها متعة متواضعة ممثلة في كهل كان يمكن ان يسعدها وينقذها من ظلمة يأسها ، عصف بها الكبر والطمع والبطر فأبت الا ان تظفر بكل شيء اي بالشباب والجمال والحظ او تودع الحياة بأسرها .

تلك هي المرأة في جبروتها وفي شعارها العنيد : « كل شيء او لا شيء » فهذه القصة كما ذكرنا تعتبر طرفة في ادبنا المصري العربي الحديث .

واما قصة « النداء الاعلى » فهي قصة لا نعتقد ان ثمة قصة تشبهها في ادبنا الحديث . انها قصيدة شعرية بل سمفونية موسيقية ترتفع بنا الى مستوى وجداني مثالي خالص . فهي صورة من حب خارق عظيم جمع بين قلبين ووحد بينهما في انجذاب روحي تخلصا به من شتى نوازع الجسد ومغرياته لتلتقي روحاهما في عالم اسمى واكمل من هذا العالم . والشائق في هذه القصة انها تسير اول الامر في مجرى واقعي ثم ترتفع شيئا فشيئا الى ذلك الافق المثالي الرائع الذي اشرنا اليه والذي يخلب لب القارىء بما يتخلله من لمسات نفسية عميقة زاخرة بالوان الشعر الحي والخيال المستطرف العجيب .

وعلى هذا تتعاقب سائر قصص المجموعة ، نازعة الى الواقعية تارة والى المثالية تارة اخرى ، او مؤلفة بين النزعتين في فن ينهض على دقة الملاحظة وبراعة التحليل وقوة التخيل وبلاغة العبارة والاسلوب .

فهذه المجموعة تؤكد لونا متميزا من الوان القصة عندنا . لونا يرتفع ولا ريب الى مصاف اجمل واقوى ما عرفنا من الاعمال الادبية عند مشاهير كتاب القصة في الغرب ، كما تؤكد المجموعة اصالة الاستاذ ابراهيم المصري في فنه وتجعل منه بحق ذلك القصصي الشرقي المبدع الذي لا يفتأ يضيف الى مكتبتنا العربية كل ما هو فذ ورائع وجديد .

طنطا — مصر ابراهيم سعد الجندي

•

الاصول العربية للدراسات اللبنانية

تأليف يوسف اسعد داغر — ٧٦٠ صفحة من القطع الكبير — منشورات الجامعة اللبنانية — مطابع حبيب عيد ببيروت ١٩٧٢

لا يزال الاستاذ يوسف اسعد داغر يمد المكتبة العربية بكتب المراجع والاصول ممثلة بهذه البيليوغرافيات العديدة التي اتحف بها البحث العلمي والناهضين باسبابه في الشرق العربي . فقد اخرج للباحثين والدارسين ، في مجال الدراسات اللبنانية ، كتابا جديدا هو : « الاصول العربية للدراسات اللبنانية » ضم ٥٢٠٠ مرجع ببليوغرافي باللغة العربية تتعلق بلبنان في شتى مراحل تاريخه ومناحي نشاطاته ومظاهر ثقافته .

وهذه المصادر والمراجع هي في سوادها الاكبر ، مؤلفات وكتب عربية تتعلق بلبنان ، وضعها لبنانيون او غير لبنانيين بينما يتألف الباقي من مقالات وابحاث مستمدة من مجلة « الابحاث » الصادرة عن الجامعة الاميركية في بيروت ، ومن محاضرات الندوة اللبنانية منذ تأسيسها عام ١٩٤٧ ، ومن بعض المقالات من مجلة : « اوراق لبنانية »، هذه المجلة التي اصدرها الاستاذ يوسف ابراهيم يزبك بين ١٩٥٥ — ١٩٥٨ .

وتسهيلا للمراجعة ، حرص الاستاذ داغر على تنسيق هذه المصادر تنسيقا علميا مستلهما اقسام تصنيف ديوي العشري . وقد ساق تحت كل موضوع عام ، المراجع والمصادر التي تتعلق به واوردها بحسب اسماء مؤلفيها مرتبة على الهجاء .

والكتاب ينتهي بفهرسين كبيرين يقعان في نحو ٨٠ صفحة ، الاول منهما للمؤلفين والكتاب الواردة اسماؤهم في تضاعيف الكتاب ، بحسب مادة الموضوع .

يؤلف هذا الكتاب اداة علمية لا مثيل لها من حيث وفـرة المواد وغناها والدقة في التعريف والتحقيق البيليوغرافي نتمنى صادقين ان يتوفر مثله لكل بلد عربي . نبدي هذه الامنية ونحن لا نجهل ان المؤلف المغربي عبد السلام بن سودة ، وضع للمغرب كتابا بعنوان : « دليل مؤرخ المغرب الاقصى » ، صدرت طبعته الاولى عـــام ١٩٥٦ في ٥٥٤ صفحة ، وقد طبع طبعة جديدة في مجلدين ، في الدار البيضاء ، عام ١٩٦٠ - ١٩٦٥ .

والاستاذ داغر هو الان في سبيل نشر الجزء الثالث من موسوعته « مصادر الدراسة الادبية » ويضم هذا الجزء ٥٥٠ ترجمة او دراسة لمثل هذا العدد من ادباء النهضة الراحلين . وسيقع هذا الجزء في نحو ١٧٠٠ صفحة . ومن المتوقع انجاز الطبع في اواخر هذه السنة .

●

أقاصيص أردنيــة

تاليف عيسى الناعوري ـ ترجمة اسبانية للمستعرب الاسباني خوسيه رودريفس تروبوخو ـ ٥٠ صفحة من القطع الوسط ـ الناشر : البيت الاسباني العربي بمدريد

صدرت اخيرا في سلسلة منشورات البيت الاسباني العربـي ، فـي مدريد ، ترجمة اسبانية لعدد من أقاصيص الاديب الاردنـــي عيسى الناعوري ، من مجموعته القصصية « اقاصيص اردنية » الصادرة عن الدار التونسية للنشر عام ١٩٦٩ . وقد قام بهـــذه الترجمة وكتب مقدمتها المستعرب الاسباني الشاب خوسيه رودريفس تروبوخو . وفي ما يلي الترجمة العربية لهذه المقدمة الاسبانية :

ليس من شك في أن ثمة شخصية تتميز بقـــوة في محيط الادب الاردني ، وتتألق بضياء خاص ، ليس في بلدها وحده ، بل في محيط الادب العربية عامة . ذلك هو عيسى الناعوري .

ولد عيسى الناعوري عام ١٩١٨ ، في فتــرة تعتبر ذات اهميــة رئيسية في ربط التاريخ العربي الحديث ، هي نهاية الحرب العالميــة الاولى . ولذلك اندمج بعمق في حياته واعماله الادبية بكل الاحــداث السياسية والاجتماعية التي تلاحقت دون انقطاع في العالم العربي ، وعلى الاخص ، وبشكل أشد قسوة ، في بلـــده الاردن وفي فلسطين المجاورة له .

ولما كان الناعوري من أصل قروي (ولد في قريـــة قريبة الـى عمان ، تدعى ناعور) فقد حافظ دائما على صلة شعبية متينة وواضحة ، وعلى حب متميز ، لكل ما يتعلق بالقرية .

وعلى الرغم من ذلك فقد زوده استعداده الفكري برصيد ثقافـي محسود ونادر المثال .

لقد أتم دراسته الابتدائية في القرية ، ثم انتقل الـــى المدرسة الاكليريكية اللاتينية في القدس (ولا بـــد مـــن ان نذكر ان الناعوري مسيحي) حيث أتم دراسته الثانوية .

بعد ان انهى دراسته واصبح ذا ثقافة متينة ، كمـــا اسلفنا ، انصرف قرابة عشرين سنة الى تدريس اللغة العربية وادابها .

وقد بدأ متاخرا بعض الشيء في نشر مؤلفاته ، فكانما لـم يكن كافيا لذلك ما لديه من تهيئة ثقافية للبدء في النشر . ثــم التحــق بوزارة التربية والتعليم حيث يعمل سكرتيرا للجنة الاردنيــة للتعريب والترجمة والنشر ، التي تعنى بالترجمة من اللغـــات الاجنبية الـى اللغة العربية . وفي سنة ١٩٥٢ أصدر مجلة « القلم الجديد » ومضى يكتب وينشر دون انقطاع (في اخر الكتاب ثبت بأعماله الادبية) .

ان الناعوري يجيد عددا من اللغـــات الاوروبية ، كالانكليزية ، وشيء من الفرنسية والاسبانية ، وعلى الاخص اللغة الايطالية، ويترجم الى العربية كثير من الاعمال الادبية الاكثر اهمية وتمثيلا لآداب البلدان التي تكتب بتلك اللغات . وهو في الوقت نفسه كثير الاسفار ، لا يكل منها ، وقد شارك في المؤتمر السابع للثقافة الاسبانية العربية الـذي عقد في قرطبة عام ١٩٦٧ . وقد أحب بلدنا ـ اسبانيا ـ كثيرا ، وخير دليل على ذلك المقالات العديدة التي نشرها في الصحف الاردنية عن تلك الرحلة ، وعبر فيها عن انطباعاته المدهشة التي اوحت بها الحمراء ، وعن الآثار الرائعة التي خلفتها طليطلة في نفسه .

وهو يقيم الآن في عمان ، مستمرا في ممارسة نشاطاته الادبيـــة المتعددة الجوانب .

اما اسلوب عيسى الناعوري فهو اسلوب رشيق ، مرن . وقلمـه يكشف لنا عن تكوينه الفكري الموسوعي ، وعن الثقافات المتنوعة التـي ترفده . وربما كانت واقعيته الادبية ـ وهي واضحة جدا لديـــه ـ متاثرة بالواقعية الايطالية ـ واللغة الايطالية ماثلة دائما كلما جاء ذكر الناعوري ـ التي تلت الحرب العالمية الثانية : واقعية براتوليني ، ومورافيا ، وغيرهما ، ممن ترجم الناعوري الكثير من اعمالهم الادبيـــة الى العربية .

وعلى الرغم من أنه يمارس مختلف الفنون الادبية ، فان موهبته المتفوقة تتجلى دون شك في حقل القصة : في رواياته ، وعـلى الأخص في استاذيته الفائقة في اعماله القصصية القصيرة والطويلة .

ولهذا حينما اردنا ان نقدم بدورنا نموذجا من ادب الناعوري ، اخترنا بنوع خاص ثلاث اقاصيص قصيرة مـــن مجموعته الاخيـرة « اقاصيص اردنية » .

في هذا الكتاب يكشف لنا المؤلف عـــن حيـــاة القرية الاردنية وعاداتها في عهد مضى ، أي انه يعيد الى اذهاننا عالم طفولته . وبهذا الالتزام يرمي عيسى الناعوري الى اثارة الاهتمام الشديد بكل هـذه

الحكايات الصغيرة عن الخيالات ، وحوادث الحب ، وكذلك المصائب التي تجري في القرية ، لان القرية هي المركز والمحرك للكتاب برمته . انها المحور الذي يدور حوله جميع اشخاص الاقاصيص ، بل هي أمهم جميعا ، الام الرئيسية التي ترى كيف يولد أبناؤها ، ويكافحون ، ويعيشون ، ويموتون !

وطبيعي انه حين يقدم الناعوري كتابا قصصيا من حياة الشعب، لا يمكنه ان يظل بعيدا عن مشكلة الوضع الاجتماعي والاقتصادي لذلك الشعب ، او ان ينسى شبح الحرب المخيم دائما ، والنزاع على الارض « الاحتلال » الذي تعيش القرية دائما عرضة له . وهكذا نجد في الاقصوصة الثانية « عسكري » من هذه الاقاصيص التي ترجمناها هنا، صورة لهذه الحرب التيتدور دائما، او المتوقعة دائما، في القرية، والتي تقرر المصير النهائي لـ « فضة » ، بطلة الاقصوصة ، اذ حرمتها من عريسها بعد ايام قلائل من زواجهما .

والوضع الاجتماعي والاقتصادي ينعكس بوضوح شديد في النزاع بين الفلاحين والرعاة ، الذي هو موضوع الاقصوصة الاولى « وانتصرت الارض » .

ومع ذلك كله فان عيسى الناعوري ، وان لم يكن كاتبا سياسيا ، لم يستطع ان يظل بمعزل عن الحالة السياسية القاسية في بلده ، وفي البلاد العربية عامة ، ولكنه يستعمل في اقاصيصه عنصرا خاصا هو عنصر « الرقة » .

والواقع ان الرقة التي يستخدمها الناعوري وهو يروي لنا الاحداث العاطفية التي تجري في القرية ، بعيدة كل البعد عن الغضب او الحقد . وبدلا من ان يستخدم المواضيع القروية ، التي يهتم بها الناعوري كل الاهتمام ، كعوامل سياسية ، يفضل الناعوري ان يحدثنا عن النزاعات الصغيرة ، وعوامل الخيبة اليومية التي تدور في عالمه القروي ، وفي عهد طفولته . وبهذه الطريقة الناجحة يغرينا بالتلذذ بالاقصوصة الحلوة التي عنوانها « انفاس البهائم » ، والمترجمة في هذا الكتاب .

وربما كان في وسعنا ان نعزو اليه الخطأ في سرد المظهر الرقيق ، وغير الضار في الوقت نفسه ، من الحياة القروية ، متحدثا عن المظهر الاجتماعي الصرف للقضية بكلام حصيف ، دون ان يهمله او يتجاهله.
ولعل المظهر الشائك في الموضوع ان الناعوري ، ربما بحكم وضعه الخاص في الجهاز الرسمي الاردني ، لم يشأ ان يذهب الى ابعد من ذلك . ولعله تعمد ان لا يحمل اقاصيصه اصباغا كثيفة ، فاكتفى بأن يصور لنا شعبا بائسا عاملا ، كما لعله قد تأثر في ذلك بصديقه مورافيا . غير ان مما لا شك فيه ان هذه الطريقة تترك فينا اثرا عميقا للحياة المحببة التي تحياها جماعة من الناس وحد بينها قاسم مشترك من حياة الحقل والقرية .

وكما يتلاءم اسلوب الناعوري الواضح البسيط ملاءمة تامة مع رقة اقاصيصه ، كذلك يجعل هذه « الاقاصيص الاردنية » غنية بالجمال واللذة ، مما يجعل قراءتها تطيب لنا وتحلو .

مدريد — خوسيه رودريغس تروبوخو

•

قراءات معاصرة

دراسات ، مراجعات ، نقد – تأليف م. ع. الرميح – ٢٤٦ صفحة – حجم كبير – منشورات مجلة الاديب ببيروت

« قراءات معاصرة » . كتاب جديد جيد ، صدر في بيروت هذا الشهر، وقفز بسرعة الى واجهات المكتبات ، ثم الى ايدي القراء ، فالى حلقات الدرس والبحث ، حيث تناولته بعد ذلك اقلام النقاد ، فوضعته على مائدة المناقشة والتشريح ، لتعطيه حقه من الثناء او .. التجريح !

وليس هذا بدعا في صناعة التاليف ، فكل كتاب ذي شان ، لا بد له من قادح او مادح ، اما الغث الذي لا سمين فيه ، فهو ذلك الكتاب ، الذي لا يهتم به فكر ، ولا يجيش منه شعور ، ولا يتحرك له قلم .

كتاب « قراءات معاصرة » الذي ألفه الصديق الاديب الناقد ، الاستاذ محمد العامر الرميح ، والذي نشرته « مجلة الاديب » الغراء، هو من النوع الاول ، الذي شق لنفسه دربا مستقلا بين الدروب ، وفرض نفسه على ندوات الادب والفكر ، جاعلا من فصوله مجالا للبحث، ومن موضوعاته مدارا للاهتمام .

واذا كان من المعروف ، ان الكتب انواع منوعة ، وان فنون التاليف ، لا تحد بحدود ، وان جوانب المعرفة ، موزعة على اختصاصات الناس ، بحسب تعدد العلوم ، وتشعب الفنون ، فان توق القراء ، ونهمهم الى التهام المزيد من قطوف المعرفة ، هو الذي يجعل لكل كتاب ميدانا خاصا به ، ولكل فن من الفنون ، مجالا يستأثر فيه، وعلى هذا نلاحظ ان كل فريق من الناس ، لا بد له من الاقبال على نوع من الكتب ، يتصل بعلمه وفنه وثقافته ، او بميوله ونزعته وهوايته ، او بمذهبه ومهنته و ... احترافه .

هنا نسأل : ما هو المجال او الميدان ، الذي اقتحمه لنفسه كتاب « قراءات معاصرة » ؟!

الجواب : هو مجال « الفكر الادبي » . فالادب بما يشتمل عليه من نثر وشعر وقصة ومقالة ، يظل اكثر شمولا ، واوسع مجالا ، مما تشتمل عليه بقية فنون المعرفة ، ذلك لان الادب ، هو الحياة ، والحياة تهم الناس جميعا ، فكل فريق منهم يغترف لنفسه منها ما يشتهي ، واما بقية العلوم والفنون والمعارف ، فموزعة – كما قلنا – على اختصاصات الناس ، حسب اختلاف الرغبات والمشارب .

وليس كل كتاب أدب ، يمكن ان تتوفر له كل حظوظ النجاح .. فهناك كتاب قد يستهويك غلافه وعنوانه ، فاذا اخذته لم تجد فيه المادة التي ترضيك ، وهناك كتاب ، قد يرضيك موضوعه ، دون ان تستسيغ اسلوبه ، فتتركه غير آسف عليه ، وهناك كتاب يصعب عليك ان تقرأه كله ، لانه ذو موضوع واحد جامد ، يفرض عليك السأم والملل ، الا اذا كنت واحدا من المختصين بموضوعه ، المهتمين بدراسة فنه ، واما الكتاب الذي يستحوذ على اهتمام السواد الاعظم من القراء ، فهو ذاك الذي يشبه الحديقة الغناء ، او البستان النضير ، الذي ترى فيه الوانا مختلفة من الازاهير ، فتنتقل من زهرة الى زهرة ، لتستمتع بعبير الطيوب ، او تتجه من ظل شجرة الى ظل شجرة ، لتفر من لفحات حر ، وتتفيأ حنايا ظل ، وبين هذا وذاك تطرق سمعك اغاريد طيور او زقزقة عصافير ، فينساب نشيدها الى قلبك ونفسك وفكرك ، عبر خرير السواقي ، ومشي النسيم ، وحفيف الاشجار .

هذا هو كتاب المتعة المحببة ، الذي يحمل مع متعته ، غذاء للفكر والقلب والروح .

واذا كان الكتاب يقرأ من عنوانه ، فكتاب « قراءات معاصرة » يدل عنوانه على محتواه ومضمونه ، هو بستان نضير او حديقة غناء ، تلتهم صفحاته بسرعة ، فلا سأم ولا ملل ، لانه متنوع الموضوعات ، ولا تعب ولا ارهاق ، لانه واضح المعنى طري الاسلوب ، ولا تقزز ولا اشمئزاز ، لانه بعيد عن التقعر فلا صنعة فيه ، ولا تكلف ولا قسوة.

تقرأ فيه افكارا في الشعر والنقد ، فتشعر ان المؤلف قد ألم بمختلف افكار المدارس الادبية ، القديمة والحديثة ، وناقشها مناقشة موضوعية ، ثم اعطى فيها رأيه ، من خلال احترامه لآراء وافكار الاخرين . حتى اذا خلص من بحثه ، ترك لك ، بادب جم ،

حرية ابداء رأيك بما كتب ، دون ان يدعي لنفسه كمالا او امتيازا .

بعد هذا ينقلك المؤلف ، الى ظل شجرة اخرى ، يحدثك فيها عن الشعر المهجري ، مختارا « فوزي المعلوف » فيقدم دراسة وافية عنه ، مبتدئا بسيرة حياته ، ثم بتقييم شعره ، وبعدها يختار بعض قصائده ، فيشرحها بلغة الباحث الدارس ، منتهيا الى وضع فوزي المعلوف ، فوق السدة التي ارتضاها له ، ورآها جديرة بادبه وشعره.

وعلى هذا النسق ، يسير المؤلف ، على درب تقييم الشعر المهجري ، فيتحدث عن ديوان « لكل زهرة عبير » للشاعر شفيق المعلوف ، وعن ديوان « سعاد » للشاعر زكي قنصل ، وعن الملحمة الشعرية « معلقة الارز » لنعمة قازان ، ثم عن ديوان « من السماء » للشاعر المصري « المهجري » احمد زكي ابو شادي .

فاذا فرغ الاستاذ العامر الرميح من مختاراته المهجرية ، انتقل بك الى الشعراء المعاصرين ، فاختار يوسف الخال من لبنان ، و « ادونيس ـ علي احمد سعيد » من سورية ، ومحمد الفيتوري من السودان ، وسلمى خضراء الجيوسي من فلسطين ، وصالح جواد الطعمة من العراق ، فناقش شعرهم ودرس ادبهم وحياتهم ، ووضعهم على مائدة النقد الادبي الفني ، ثم انزلهم المنازل ، التي رآها متكافئة ، مع ما نشروه من اثر ، وما قدموه من فن .

ومن هنا انتقل بنا المؤلف الاستاذ الرميح ، الى تقديم موضوعات وافية ، على شكل دراسات لادباء ، وتلخيص لكتب ، وتقييم لآثار ، فتحدث عن شاعر تونس ابي القاسم الشابي ، وعن نازك الملائكة ، من خلال دراسة وافية للشعر العراقي المعاصر ثم اختار كتاب « ادباء من الجزائر » للدكتور ابراهيم الكيلاني فلخص محتواه ، ونقد بعض افكاره ، مشيرا الى خمسة ادباء جزائريين ، كان لهم حظ الاهتمام من الدكتور الكيلاني فاحتلوا كل صفحات كتابه ، وهم ادريس الشرايبي، ومحمد ديب ، ومولود فرعون ، وكاتب ياسين ، ومولود العمري ، وتساءل صاحب كتاب « قراءات معاصرة » عن الاسباب التي جعلت الدكتور الكيلاني يقصر بحثه على هؤلاء الخمسة ، تاركا العدد العديد من شعراء الجزائر المعاصرين ، فاعلن انه غير مقتنع « بالظروف » التي برر بها الكيلاني اسباب قصر الحديث على خمسة شعراء وتمنى لو ان الكيلاني قد توسع في دراسة عدد اكبر من ادباء الجزائر ، خاصة بالنسبة للاديبين الكبيرين اللذين ذاع صيتهما في العالم العربي ، وفي اوساط الادب في فرنسا ، وهما مالك بن نبي ، وجان عمروش .

ويتابع محمد العامر الرميح ، دراسته ، فيكتب مطولا عن الكاتب التونسي « محمد كرو » من خلال كتابه « حصاد القلم » ويتحدث عن شعره المنثور ، فيثني على قسم منه ثناءا عاطرا ، ويتمنى لو ان صديقه الاستاذ كرو قد احجم عن نشر القسم الآخر من شعره النثري المشار اليه .

ثم اخذ الاستاذ العامر ، الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي فناقش كتابه : « البحوث الادبية » وبعدها اخذ « كولن ولسن » مؤلف كتاب « اللامنتمي » المنقول الى العربية بقلم انيس زكي حسن، فلخصه وراجعه واورد مقطوعات وافية من افكاره وآرائه الفلسفية ، ولم يقف العامر عند هذا الحد ، بل سعى الى تحليل شخصية « اللامنتمي » سعيا مشكورا ، ووجد الكثير من الشبه بين الشاعر العربي « الحطيئة » وبين « لامنتمي كولن ولسن » كما رأى ان يربط بينه وبين لورنس ، وفان جوخ ، وابي العلاء المعري ، وختم دراسته لكولن ولسن ، بالدعوة الى قراءة كتابه قراءة كاملة عميقة لانه في رأيه « افضل كتاب صدر خلال السنوات الاخيرة من حيث موضوعه وفكره ومستواه » .

هذا هو مجمل ما انطوى عليه كتاب الاستاذ محمد العامر الرميح يضاف الى ذلك مقالان ، الاول بعنوان « الشهر الابيض » والثاني بعنوان « فلسفة رمضان » وهذان المقالان يصوران الناحية الانسانية والخلقية ,والعقائدية التي يتحلى بها محمحد العامر الرميح اذ يتضح من بين سطور قلمه ، ما تنطوي عليه نفسه من عقيدة ودين ، يزينهما ادب جم وخلق رفيع .

وبعد ، فهذه هي خلاصة ما قرأته في كتاب « قراءات معاصرة » ومن هذه الخلاصة ، يتضح انني حينما قلت بان محمد العامر الرميح، قد اختط لنفسه في هذا الكتاب ، دربا مستقلا ، فانني كنت اعني ما اقول تماما ، فالكتاب ليس ذا موضوع واحد جامد ، وحين شبهته بالحديقة الغناء والبستان النضير ، فلانه كان فعلا كذلك ، ولان مؤلفه قد اخذ من كل حديقة زهرة ، ومن كل بستان ثمرة ، ثم وفق بين الزهر ، وقارب بين العبير ، حتى جعل من كتابه متعة نفسية ، ذات غذاء فكري وروحي ثمين .

وقد يقول قائل ، ان العامر ، لم يات بجديد ، فها هي الكتب المدرسية ، التي تذخر صفحاتها بالعديد من تراجم الشعراء والادباء والمفكرين ، وها هي الملخصات التي تنشر هنا وهناك ، عن كتب قيمة او كتاب مرموقين ، فاين الجديد بما صنعه العامر الرميح ؟!

وفي الجواب على هذا نقول : لا ... ان الفرق بعيد جدا بين الكتب المدرسية التي تطرح موضوعاتها ، على مستوى محدد ، يتناسب مع قدرة الطلاب على الفهم والاستيعاب ومع اسنانهم الدراسية ، وبين الكتب الموضوعة على مستوى فكري واجتماعي عال وشامل ، فهذا النوع من الكتب ، يصح ان يكون منارا للثقافة العامة ، يهتدي بهديه الادباء والمتادبون ، ويعتمد على حصيلته كبار الكتاب والمفكرين ، اذ كثيرا ما تغني هذه الطريقة : طريقة قراءة الكتاب الواحد ، ذي الموضوعات الكثيرة ، المدروسة بعمق ، والمطروحة بفن ، عن قراءة كتب عديدة ، قد لا يتوفر للراغب بقراءتها ، ما يلزمه من وقت ، وما يحرص عليه من درس ، ومن هنا نستطيع ان نقول بسهولة : ان

محمد العامر الرميح ، قد بذل جهدا مشكورا ، وقدم حصيلة جيدة ، نعتقد انها ستكون باكورة انتاج غزير ، يعود على ساحة الادب والفكر، بالخير الجزيل .

ولا يعني قولنا هذا ، اننا نتبنى كل ما قدمه الاستاذ العامر في كتابه من افكار وآراء ، او نقبل بما اورده دون مناقشة او محاكمة ، لا .. فهناك نواح كثيرة ، نختلف معه فيها اختلافا عميقا ، منها ما يتعلق بالنقد الادبي ، فنحن اميل الى الاقتناع بما يقوله اوسكار وايلد ، لاننا نعتقد ان النفس البشرية ، لا تزال دون المستوى الكمالي الذي تستطيع ان تتجرد فيه عن عواطفها وميولها ، لتكون مثالية الحكم ، مثالية التنفيذ ، وحين تبلغ البشرية ذلك المستوى ، يكون بمقدور الناقد الادبي ، ان يقول رأيه ، المؤيد بقواعد العلم والفن والمعرفة دون ان يخشى ، ظلما يقع عليه ، او سهاما تنوشه من كل صوب !

وما نقوله عن النقد ، نقوله عن الشعر ، فالشعر لا يكون شعرا في رأينا الا اذا كان شعرا عموديا يقوم على القوافي والتفاعيل والاوزان واما ما يسمى ب « الشعر الحديث » او «الشعر الحر » فكلاهما – في رأينا – ليس شعرا ، بل هو كلام منثور ، قد يكون في سبكه وجرسه ومعناه ، افعل واجمل واوقع ، من اجود اي شعر مقفى وموزون ، لكنه مع ذلك ، يظل محتفظا باسمه كنثر ، ولا يمكن ان ينتزع لنفسه اسم « الشعر » ، وليس هذا انتقاصا من قيمة النثر ، او رفعا لشأن الشعر ، اذ لا فضل للشعر على النثر ، ولا للنثر على الشعر ، الا بالجودة ، وصدق الحس ، وسلامة التعبير ، والدخول الى تأدية المعاني والاغراض ، على الشكل الذي يقبله العقل ، وترتاح اليه النفس ، ويأنس به الشعور .

وتقريرنا لهذه الحقيقة ، ينبع من اقتناعنا ، بأن كل اسم له من مسماه نصيب ، فلا يجوز ان نسمي الباب نافذة بحجة انه يسمح بدخول الضوء اكثر !! ولا ان نسمي النافذة بابا ، بحجة انها تحول دون الضجيج ولا تمنع دخول الضوء !!

لا .. الباب باب ، والنافذة نافذة والشعر شعر ، والنثر نثر ، وكل منهما يجب ان يكون له من مسماه نصيب .

ومع مرور الزمان ، وتعاقب السنين ، يكون البقاء للاصلح ، سواء كان شعرا أم نثرا ، والرديء من الكلام المنظوم او الكلام المنثور، لن يكون له مكان او مقام ، سواء سميناه شعرا ، او سميناه نثرا .

في هذه الناحية من كتاب « قراءات معاصرة » نختلف مع مؤلفه الصديق العامر اختلافا واضحا ، اي اذا اخذنا بعض اقواله التي شدد فيها على التجرد من بحور الشعر وتفاعيلها واوزانها وقوافيها ، ولكننا نجدنا متفقين معه كل الاتفاق حين يقول في الصفحة ٢٨ ما يلي بالنص :

« الذي يهمني من الشعر ، هو روحه ، ولا فرق عندي اذا كانت القصيدة الجيدة مكتوبة بالاسلوب القديم اي باسلوب الشعر العروضي ، او مكتوبة بالشكل الجديد للقصيدة ، المهم هو مضمون القصيدة ، وليس شكلها الخارجي ، والمهم ان ينجح الشاعر في بلورة احاسيسه ومشاعره بصدق ، وفي نقلنا الى الجو العام لموضوع قصيدته ، لا ان يضعنا امام كتلة من الكلام الجامد ، المرصوف بعناية، المجرد من روح الشعر ، ومن لغة ومادة الشعر ، ومن الحركة الحية للكلام الشعري » .

هذا ما قاله الاستاذ العامر ، وهو كلام صحيح مئة بالمئة ، بل هذا هو المهم ، وهذا هو المطلوب من الكلام المكتوب المسمى نظما او نثرا ، ويبقى هناك خلاف صغير واساسي ، هو ان قطعة النثر ، سواء كانت جيدة جدا ، او رديئة جدا ، لا نستطيع ان نسميها « قصيدة » فقصائد الشعر ، هي الكلام المقفى الموزون ، وما عدا ذلك ، فهو كلام منثور ، حتى ولو كان من النوع المسمى ب « الشعر الحر » الذي يتنقل بين الاوزان والقوافي ، فيخلط بين هذا وذاك ، دون ان يحترم عدد التفعيلات او يعتمد مبدأ القوافي والتشطير !

ونريد ان نسجل للاستاذ العامر ، صدقه في التعبير عن رأيه ومعتقده ، مع علمه بان دعوته الى تجاوز الشكل التقليدي والحدود العروضية ، في الشعر المعاصر قد تضمه موضع « عدم الرضى » لدى بعض القراء ، الا انه آثر ان يقول رأيه هذا بصراحة في مقدمة الكتاب، تاركا لكل قارىء حق ابداء رأيه بكل حرية وتجرد ، وهذا يؤيد ما قلناه بين سطور هذه الدراسة ، عن النهج الادبي السليم الذي اختطه لنفسه محمد العامر الرميح .

وقد يكون مفيدا ، في هذه الدراسة ، ان نشير الى ان الحرب بين الشعر والنثر ، حرب قديمة ، والصراع بين القديم والجديد ، صراع مزمن ، فحين يفتح الطفل عينيه على الحياة ، يشعر بأن حياته جديدة ، فيطالب بالتجديد .. تجديد كل شيء ، لكنه لا يلبث ان يصبح قديما بنظر الجيل الذي يليه ، فيتعرض لهجوم هذا الجيل الذي لا يبعد ان يكون ابنه عضوا فيه ، او واحدا بين المهاجمين ، وهكذا يشرب من نفس الكاس ، التي سقى بها اباه او جيله السابق ... ففي كل دهر ، وكل عصر ، وكل قرن ، يستمر الصراع بين القديم والجديد ، « سنة الله في خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا » .

قبل نحو الف سنة ، كتب بن رشيق القيرواني المتوفي عام ٤٦٣ من الهجرة الشيء الكثير عن الشعر والشعراء ، فقال في مقدمة كتاب « العمدة » :

« مع ما للشعر من عظم المزية ، وشرف الابية ، وعز الانفة ، وسلطان القدرة ، وجدت الناس مختلفين فيه ، متخلفين عن كثير منه ، يقدمون ويؤخرون ، ويقلون ويكثرون ، قد بوبوه ابوابا مبهمة : « شعر حديث او شعر حر ، او شعر منثور » ولقبوه القابا متهمة ، وكل واحد قد ضرب منهم في جهة ، وانتحل مذهبا ، هو فيه امام نفسه ، وشاهد دعواه » !!

رحم الله بن رشيق القيرواني .. ان ما قاله قبل نحو الف سنة، لا يزال موضع صراع ، وميدان جدال ، فالزمن يدور ، والتاريخ يعيد نفسه ، ويظل البقاء للاصلح ، سواء كان نثرا او شعرا ، وكما يتغنى الناس على مرور الزمن ، بالجيد من شعر زهير ولبيد والمتنبي والمعري وابي تمام وشوقي وحافظ فانهم يتغنون ايضا بالجيد من كلام قس بن ساعدة ، وعلي بن ابي طالب وواصل بن عطاء والحجاج بن يوسف وبن المعتز وعبد الحميد الكاتب ومحمد بن عبد الملك الزيات والعقاد والرافعي وطه حسين .

لكل جيل حقه في الحياة ، ولكل انسان قديمه وجديده ، وتقليده وتجديده ، ولا بد من شرب الكاس ، فهنيئا لمن كانت كاسه سائغة هينة ، وتعسا لمن كانت كاسه غير ذلك .

نعود الى موضوع الكتاب ، فنصر على ان مؤلفه قد اختط لنفسه دربا مستقلا بين الدروب، ونحا ناحية نبيلة القصد ، شيقة الغاية ، فقدم للمكتبة العربية ، زادا ذا شأن ، لا بد من ان يجد حقه من العناية والترحيب ، لدى اصحاب الفكر الرضي ، والغرض النقي ، فأهلا بالصديق الكريم الاستاذ محمد العامر الرميح ، على صعيد التاليف والنشر ، ومرحبا بكتاب « قراءات معاصرة » كنتاج ادبي جيد ، سياخذ مكانه اللائق في المكتبة العربية .

بشير العوف



● حوار عبر الابعاد الثلاثة ـ شعر ـ بلند الحيدري ـ تصميم الغلاف والرسوم يحيي الشيخ ـ ١٢٦ صفحة ـ منشورات وزارة الاعلام مديرية الثقافة العامة ـ الكتاب رقم ٢٥ في سلسلة ديوان الشعر العربي الحديث ـ مطبعة الاديب البغدادية .

● نحو تفصيح العامية في الوطن العربي : دراسات مقارنة بين العاميات العربية ـ تاليف عبد العزيز بنعبد الله ـ ٢٠٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي في الرباط بالمغرب ـ مطبعة فضالة بالرباط .

● موسوعة قواعد اللغة الانكليزية ـ تاليف مهدي بديرة ـ الكتاب الاول ـ ٢٢٨ ـ صفحة ـ (صدر في دمشق) ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● قواعد لفظ اللغة الانكليزية ـ تاليف مهدي بديرة ـ ٢٤٨ صفحة ـ منشورات مهدي بديرة بدمشق ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● قواعد كتابة اللغة الانكليزية ـ تاليف مهدي بديرة ـ الطبعة الثانية منقحة ومزيدة ـ ١٣٦ صفحة ـ (صدر في دمشق) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● سنابل حزيران ـ مجموعة شعرية ـ فؤاد الخشن ـ ٢٠٤ صفحة ـ منشورات دار المعارف بمصر ـ مطابع دار المعارف بمصر .

● اغلال القلب ـ مجموعة قصص ـ تاليف ابراهيم المصري ـ ١٩٢ صفحة ـ سلسلة « اقرأ » رقم ٣٥٧ ـ منشورات دار المعارف بمصر ـ مطابع دار المعارف بمصر .

● اغنيات من بلاد الاقزام ـ مجموعة شعرية ـ محمد ياسر شرف ـ الغلاف والرسوم الداخلية للشاعر ـ ١١٢ صفحة ـ مطبعة الثبات بدمشق .

● ٤ مسرحيات عالمية ، فصل واحد ـ لجان كوكتو وبرتولد بريشت والكسندر ديماس الابن وجان آنوي ـ ترجمة يوسف البدري ـ ١٢٨ صفحة ـ دار النجاح للطباعة بالاسكندرية .

● في مهب الريح ـ قصة ـ تاليف الياس قنصل ـ ٢١٦ صفحة ـ حجم كبير ـ طبع في بوانس ايريس عاصمة الارجنتين .

● رواد الشعر السكندري في العصر الحديث ـ تاليف عبد العليم القباني ـ ١١٢ صفحة ـ سلسلة المكتبة الثقافية العدد ٢٨٢ ـ منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة .

● هكذا عرفتهم ـ تاليف جعفر الخليلي ـ الجزء الثالث ـ ٣٤٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار التعارف ببغداد ـ مطابع دار الكتب ببيروت .

● هكذا عرفتهم ـ تاليف جعفر الخليلي ـ الجزء الرابع ـ ٣٣٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار التعارف ببغداد ـ مطابع دار الكتب ببيروت .

● ازاهير ـ مجموعة شعرية ـ محمد بن علي السنوسي ـ ٨٠ صفحة ـ (صدر بالسعودية) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ابو عمرو الداني الاندلسي ورسالته في الظاءات القرآنية ـ تاليف الدكتور محسن جمال الدين ـ مطبوعات الجمعية الاسلامية للخدمات الثقافية ـ سلسلة من المخطوطات الاندلسية في مكة المكرمة رقم ١ ـ ٢٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة المعارف ببغداد .

● الدر النظيم في خواص القرآن العظيم لليافعي ـ تاليف الدكتور محسن جمال الدين ـ مطبوعات الجمعية الاسلامية للخدمات الثقافية سلسلة من المخطوطات الاندلسية في الخزائن العراقية ـ ٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة المعارف ببغداد .

● خمسة ايام في المربد مع الشعر والثورة ـ تاليف عبد المجيد لطفي ـ ٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعدت وزارة الاعلام العراقية على طبعه ـ مطبعة شفيق ببغداد .

● الدين الحق ـ تاليف محمد حسن الحمصي ـ الكتاب الاول من سلسلة « قصص من التاريخ » ـ ١٣٢ صفحة ـ مطبعة دار الكتاب بدمشق .

● المرفأ القديم ـ مجموعة شعرية ـ عبد الصاحب الموسوي ـ تقديم ضياء الدين الخاقاني ـ الغلاف واللوحات الداخلية لمحمد سالم ـ ١٧٦ صفحة ـ دار الزهراء للطباعة والنشر بيروت .

● موسوعة قواعد اللغة الانكليزية ـ تاليف مهدي بديرة ـ الكتاب الثاني ـ ٤٦٤ صفحة ـ (صدر في دمشق) ـ (لم يذكر اسم المطبعة).

● آهات عمري ـ مجموعة شعرية باللغة العامية ـ محمد عبد الغني السيد ـ تحية من عمر الدسوقي ـ تقديم محمد مصطفى الماحي وكلمة لعبد الفتاح مصطفى ـ وكلمة ختام لمحسن محمد حسن ـ ١٦٠ صفحة ـ منشورات دار الفكر العربي بالقاهرة ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● طواحين بيروت ـ رواية ـ تاليف توفيق يوسف عواد ـ ٢٩٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الاداب ببيروت ـ مطابع دار العلم للملايين ببيروت .

● السابقون واللاحقون ـ رواية ـ تاليف سميرة المانع ـ صمم الغلاف الفنان المغربي عبد القادر السميحي ـ ١٢٠ صفحة ـ طبع بمساعدة وزارة الاعلام العراقية ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ادب الحياة ـ تاليف كمال جنبلاط ـ ٢٠٠ صفحة ـ منشورات دار صادر ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● قراءات معاصرة : دراسات مراجعات نقد ـ تاليف م. ع. الرميح ـ ٢٤٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مجلة الاديب ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● مختارات الزهاوي من عيون الشعر ـ جمعها وحققها واضاف لها هوامش : عبد الرزاق الهلالي ـ ٢٩٨ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعد المجمع العلمي العراقي على نشره ـ مطبعة شفيق ببغداد .

● ثورة من تحت ـ مسرحية من فصلين ـ تاليف صلاح الدين الحريري ـ مصمم الغلاف ج. آر. ان ـ ٢٢٨ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع مؤسسة خليفة للطباعة ببيروت .

● فاين الله ؟ !! ـ مجموعة قصص قصيرة ـ تاليف محمد حسن الحمصي ـ ١٢٨ صفحة ـ الكتاب رقم ٢ من سلسلة قصص من التاريخ ـ (صدر في دمشق) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .